نوال مهني

وعاد الحب

(قصص قصيرة)

وعاد الحب

لم أكن أبدا أتوقع أن يحدث ما حدث ، آه يا لها من مفاجأة سارة وصدفة سعيدة ! أربعون عاما مضت منذ فراقنا وباعد بيننا الزمن ، وظل لقاؤنا حلما يعيش بأعماق وجداني حينما أخلو بنفسي وأسترجع ذكرياتي يطفو على سطح الذاكرة ـ مجرد حلم بعيد المنال ـ ما دار بخلدي أن يتحول ـ يوما ما ـ إلى واقع أعيشه .

كنا زميلين في الجامعة ، تعارفنا وتقاربنا ، وتلاقت أفكارنا ومشاعرنا ، وصرح لي بمكنون عواطفه .

لم أنس ذلك اليوم حين فاجأني قائلا : أحبك يا شهيرة ، كدت أطير فرحا رغم علمي بحبه لي دون أن يصرح ، من نظراته ولهجة حديثه وابتسامته حين يراني .

ملأ الحب قلبينا . كانت مرحلة التعليم الجامعي أجمل سنوات عمري .
رفضت جميع المتقدمين لخطبتي في انتظار أن يتقدم مهدي .أغلب أسباب رفضي كانت واهية لم تقنع العائلة .
وحينما تقدم لي شاب وجيه و ذو مركز مرموق و من عائلة كبيرة لم أجد سببا للرفض ، وأصرت العائلة على قبوله ، أخبرت مهدي فسارع بالحضور إلى منزل عائلتي مع أبويه . رفض والدي وعائلتي جميعا الارتباط بشاب لا يزال طالبا لم يتحدد مستقبله بعد ، ولبس في مقدوره تحمل نفقات وأعباء أسرة ، ورفض الطلب ، بكيت كثيرا وحزنت كثيرا ، وتمت الموافقة على الخطيب الآخر الذي ترضى عنه العائلة .
تم الزواج في نفس عام تخرجي ، وانقطعت الصلة بيني وبين حبيبي ومضى كل منا في طريقه .
تنقلت مع زوجي في عدة مدن طبقا لظروف عمله وعملي ، وأنجبت ثلاثة أبناء : ولدين وبنتا ، وتمضي السنون . كانت علا قتي بزوجي خالية من العاطفة وتفتقد إلى المشاعر ، وكأننا مجرد معارف أو أقارب جمعنا منزل واحد . صار افتقادي للحب يؤثر في نفسي ويشعرني بالحسرة ، وإن ظهرت أمام الناس بمظهر آخر ، فكان الجميع يمتدحون شخصيتي المرحة وإقبالي على الحياة ولا يعرفون ما أخفيه من مرارة وأسى . أربعون عاما مضت على هذا الحال .أقنعت نفسي أن رسالتي الحقيقية هي الأمومة ، ورضيت بما قسم الله لي . كنت أرى سعادتي في أبنائي وهم يكبرون أمامي ويواصلون تعليمهم بتفوق ، ويتزوجون بمن يحبون .

-١-

يشهد الجميع بأنني أحسنت تربيتهم ، ويشهد أهلي ومعارفي بحسن علاقتي مع أزواج أبنائي يحبونني وأحبهم ، وأصبحت جدة أسعد بأحفادي .
ولكن .. بعد زواج آخر أبنائي واستقلالهم عنّي وانشغالهم بحياتهم الخاصة ، وجدت نفسي وزوجي وجها لوجه ، ساعتها فقط شعرت أن رسالتي التي نذرت لها حياتي قد انتهت ، ولم أعد أطيق البقاء مع من أجبرت على الزواج به ، فتحطمت أحلامي وضاعت أمنياتي في السعادة والحياة مع من أحب .
طلبت الطلاق ، حاول الأبناء والأهل التدخل لإثنائي عن رغبتي ، وأمام إصراري وافق زوجي وتم الانفصال في هدوء . شعرت بقدر من الحرية والراحة النفسية ، ثم توفي طليقي بعد فترة .

مرت الأيام وجاءت الصدفة الغريبة ، حين توفي زوج أختي الكبرى وهو عميد العائلة وذو حيثية ومكانة رفيعة في المجتمع .
أثناء وقوفي في مأتم الفقيد لتلقي العزاء ، إذا بشخص يتقدم مني برفقة أحد أقاربي الذي قدمه لي قائلا : السيد / مهدي جاء لتقديم واجب العزاء ويسأل عنك وعن زوجة المرحوم . نظرت إليه في ذهول دون أن أنطق ، أشرت إلى قريبي بالانصراف ، لأقوم أنا بمهمة توصيله إلى أختي .
مد يده ليصافحني هامسا : أنا مهدي يا شهيرة ، أرجوك أعطني رقم هاتفك .
دق قلبي بقوة وانعقد لساني من هول المفاجأة . سجل رقم هاتفي قبل أن أصحبه إلى حيث تجلس أختي في سرادق العزاء .
قدم لها كلمات المواساة المعتادة وانصرف بعد أن حياني وشد على يدي .
ما أن عدت إلى البيت حتى دق جرس هاتفي ، وإذا بصوت مهدي يخبرني إنه علم بوفاة زوجي حينما قرأ نعي الفقيد في الصحيفة وكان اسمي مقترنا بزوجة المرحوم فلان فعلم أنني أصبحت أرملة ، وأضاف أنني جئت للعزاء من أجل أن أراك فمنذ أربعين عاما وأنا أبحث عنك ، بعد أن فقدت الاتصال بك بعد زواجك وتغير عنوانك ، تركته يتحدث دون مقاطعه وبعد تردد سألته : وأنت ألم تتزوج ؟
ـ تزوجت بعد إلحاح من والديّ ، وأنجبت ولدا واحدا تخرج في الجامعة وتزوج واستقل بأسرته ، وزوجتي مريضة . كان زواجي بها تقليديا لم يكن بيننا حب أو مشاعر متبادلة ولكنه إرضاء لأهلي . زوجتي طيبة لا أعيب عليها خلقا ولا دينا ، لكني لم أشعر يوما بالسعادة معها ، ولم أكف يوما عن التفكير فيك .

-٢-

ـ لكن الأعوام التي مرت بنا ربما غيرت فينا أشياء كثيرة !
ـ حين رأيتك شعرت أنك لم تتغيري ، كأننا افترقنا بالأمس ، لقد محيت من ذاكرتي سنوات الفراق .
ـ هل ما زلت متمسكا بي بعد هذا العمر ؟
ـ لن أدعك تضيعين مني بعد أن وجدتك ، لن نفترق بعد الآن ، ظللت انتظر هذا اليوم أربعين عاما وكنت واثقا من اللقاء .

ـ وأنا كذلك ، كنتَ تعيش في مخيلتي دائما ، وذكرياتي معك هي الزاد الذي استمد منه الحياة ، وأعيش على أمل أن يتحقق هذا الحلم الذي بدا لي أنه المستحيل ذاته .
أصر على أن نلتقي ، والتقينا في مكان محبب إلينا ، وتبادلنا حديث الذكريات وما مر بنا من شئون وشجون .
توقف قليلا عن الكلام وكأنه يتهيأ لأمرٍ هام ، وفي جمل محددة عرض عليّ الزواج طالبا منيّ ردا فوريا ، أجبت : إن الوقت غير مناسب إذ لابد من التمهيد لأبنائي ، فقال : اشرحي لأبنائك كل شيء ، وكذلك سأفعل أنا ، فنحن لم نعد صغارا ، ولم يعد في العمر بقية نضيعها ، يجب أن نعيش ما تبقّى لنا من العمر ، للقد أدينا رسالتنا تجاه أبنائنا ومن حقنا أن نحقق ما حرمنا منه .
عدت إلى بيتي وجمعت أبنائي وأخبرتهم بكل شيء ، وأضفت أن مهدي يريد الحضور لمقابلتكم لكي يطلبني للزواج ، تردد أبنائي قليلا وراحوا ينظرون لبعضهم ثم أعلنوا موافقتهم .
تم إعداد ما يلزم، وتم عقد القران في منزلي بحضور أبنائي وإخوتي وانتقلت إلى شقة الزوجية .
كان لقاؤنا أشبه بأحلام اليقظة ، وعلق مهدي وهو ينظر إليّ : الحمد لله هذا جزاء الصابرين . تنفست بعمق وأجبتُ: أخيرا تحقق الحلم ! تشابكت أيدينا وتعانقنا طويلا ورددنا معا ، تحقق الحلم وعاد الحب .

.....

-٣-

قارون الجديد
قصة / نوال مهني ـ مصر

أمام المدخل الرئيسي لإحدى المؤسسات الصناعية الكبرى ، وقف الصحفي الشاب الذي يعمل محررا في مطبوعة أسبوعية شهيرة ، راح يتأمل اللافتات المعلقة على الواجهة ويقرأ ـ مصنع قارون الجديد ـ تبسم ساخرا وهو يقول لنفسه : ترى من يكون الجديد فيهما ! المصنع أم قارون !
دلف إلى الداخل وتوجه إلى موظف الاستعلامات .
ـ أريد مقابلة السيد قارون ، رئيس المؤسسة .
ـ هل لديك موعد سابق ؟
ـ نعم .
ـ اسم حضرتك ؟
ـ عزيز كمال الدين ، محرر بمجلة نور الصباح الأسبوعية .
نظر الموظف في سجل الزيارات وتأكد من الاسم والموعد ، ثم اصطحبه إلى مكتب الرئيس .
في مكتبه الفخم الضخم ، جلس رجل الأعمال الثري وأمامه الصحفي الشاب الذي أعد جهاز التسجيل وبدأ حديثه قائلا :
ـ سيد قارون ، نريد أن نعرف قصة حياتك ، من البداية وحتى وصلت إلى رجل أعمال يمتلك مجموعة من أكبر الشركات والمصانع ، ولديه رصيد هائل من الأموال في مصارف الدولة ، بل ويصنف ضمن أثرياء العالم .
تبسم قارون في فخر وزهو وتراجع بمقعده للخلف وأخذ نفسا عميقا وتصنع التفكير قليلا ثم أجاب
ـ أعرف إنك صاحب إنفرادات وتحقيقات توصف بأنها خبطات صحفية تزيد من توزيع المجلة ، وهذا يدعم مكانتك عند رئيس التحرير .
ـ في الحقيقة ليس الغرض زيادة التوزيع ، وإنما نحن نريد تقديم نموذج ناجح للشباب ، ولا بد أن نجاحك وراءه قصة كفاح كبرى .
اعتدل قارون في جلسته ، وقد راقه كلام الصحفي وبدأ حديثه في جدية :

(١)

ـ لقد بدأت حياتي موظفا صغيرا في وزارة الزراعة ، وكان راتبي يكفي بالكاد ضرورات الحياة ، ولكن طموحي وعلاقاتي الحسنة مع كبار المسئولين ، وخدماتي لهم حتى خارج العمل جعلهم يتعاطفون معي .

وبمساعدتهم حصلت على قرض من أحد البنوك ، واشتريت به قطعة أرض زراعية كانت الوزارة تعرضها للبيع في مزاد علني ، ويسدد ثمنها على أقساط مريحة ، وكانت فاتحة خير لي ، تلك كانت البداية .
ـ وكيف كانت هذه البداية فاتحة خير لك كما تقول ؟
ـ في الحقيقة أنا لا أفهم في الزراعة ، فضلا عن أن الزراعة متاعبها كثيرة وأرباحها قليلة ، أى أنها لا ترضي طموحي ، لذا تركت الأرض فترة من الزمن وقمت بتقسيمها وبيعها بثمن مجزي لشركات استثمارية كبرى لإنشاء بعض المشاريع التي تدر ربحا كبيرا ، وربحت أنا ثروة لا تقارن بثمنها الأصلي ، وتكرر نفس الشيء كثيرا مع أرض جديدة، وعندما توافر لدي قدر كبير من المال قررت أن أنشئ مشروعات خاصة بي وأكون أنا صاحبها ومسئول إدارتها ، وفي كل عام يزيد عدد المؤسسات والشركات .
ـ إذن أعجبتك اللعبة ، ولكن ألا ترى أن تكرار حصولك على أرض الدولة بأثمان زهيدة واستغلالها في غير الأغراض التي بيعت من أجلها عمل غير قانوني ؟
ـ أنا لا أعرف القانون ، وما دام القانون لم يتدخل ويمنعني فأنا في حل من الالتزام به .
ـ وكيف سمح لك المسئولون بتكرار الحصول على أرض الدولة ، بينما هناك من لا يستطيع الحصول على قطعة واحدة ؟
يصمت قارون قليلا وقد تجهم وجهه وتقطب حاجباه ، ثم يجيب بصوت منخفض :
ـ أصارحك بالحقيقة ولكن بصفتك صديق ـ يعني ليس للنشر ـ كما قلت لك من قبل نظير خدمات أقدمها لهم ، وكذلك مقابل هدايا قيمة عند البيع والشراء ، فالمنفعة إذن مشتركة بيننا .
ـ إذن هم ينتفعون بطريقة غير مباشرة ، فلماذا لا يحصلون هم على أرض خاصة بهم ويبيعونها لحسابهم ؟
ـ هذا ممنوع قانونا بحكم مواقعهم الوظيفية .

(٢)

ـ يقال أنك لم تسدد قرض البنك ، وتتهرب من الضرائب ، وتفسد المساحة الزراعية بمشروعاتك وبناياتك ، ويقال أيضا أنك تمتلك أموالا كثيرة بالخارج ، كان أولى أن تستثمرها هنا في وطنك ، بل ويتردد بين الناس أنك تنفق أموالا طائلة في اللهو ولم يستفد المجتمع من ثروتك .

ـ هذه إشاعات كاذبة ، يرددها أعداء النجاح والحاقدون والحاسدون وهم كثر ، أنا لست وحدي من يفعل ذلك ،انظر حولك لترى غيري .
ـ ألا ترى شبها بينك وبين قارون القديم ؟
أرتجف الرجل وظهر الانفعال في وجهه وصوته وصاح : تقصد قارون موسى ؟! أنا لا أرى أي وجه شبه بيني وبينه سوى الاسم ، ثم أنني جمعت هذه الثروة بفكري وجهدي، وبنيت هذه المشروعات وصنعتها على عيني علق الصحفي ساخرا وهو يجمع أوراقه ويهم بالانصراف ، كذلك قال قارون القديم : سأعود لتكملة الحوار في الأسبوع القادم إن شاء الله .
عاد قارون إلى بيته ـ بعد يوم حافل بالأعباء ـ قلقا متوترا ، شعر بغصة في حلقه والأفكار السوداء تكاد تحطم رأسه وظل يسأل نفسه : ما الذي دفع هذا الصحفي الخبيث أن يقارن بيني وبين قارون موسى! أيعقل أن تكون هذه صورتي ـ والعياذ بالله ـ أمام الناس ! مالي أنا وهذا الباغي الذي خسف اللهُ به وبداره الأرض ، ياله من مصير مؤسف ، اللهم نجنا منه ، اتجه إلى غرفة نومه محاولا أن يستريح ويطرد عن فكره الهواجس المزعجة ولكن دون جدوى ، آ آه ه سامح الله والداي ، أما وجدا غير اسم قارون كي يختاراه لي !! تبا لك يا عزيز ما هذه المقارنة الظالمة .
بعد سهاد وإجهاد شديدين أخذته سنة من النوم ، رأى في منامه رجلا غامضا ذو نظرات مريبة يرتدي زيا فرعونيا ، يجلس على حافة سريره ويبدو كأنه قادم من سفر بعيد ، هب من رقدته متسائلا : من أنت ولماذا أتيت إلى هنا ؟
ـ أنا قارون موسى ، وأنت الذي استدعيتني ، فجئت إليك .
ـ أنا لم استدع أحدا .
ـ ألم تذكر اسمي كثيرا، ثم إنك سميي وبيننا أوجه شبه كثيرة .
ـ لا تقل هذا ، ليس بيني وبينك أية عوامل مشتركة ، سوى الاسم أنا أرفض أن أتشبه بك .
ـ الحقيقة أن بيننا عوامل مشتركة ، ولكنك تغفل عنها وتتجاهلها .
ـ (ساخرا) مثل ماذا ؟
ـ مثل حب الثراء وجمع المال وعدم الإنفاق فيما ينفع الناس .

(٣)

ـ المقارنة ظالمة والفارق كبير ، إن كنوزك تنوء بحمل مفاتيحها عصبة قوية ، ثم أنا لم أسرق أحدا ، وقد جمعت هذا المال بجهدي ومهارتي .
ـ وأنا أيضا (إنما أوتيتهُ على علمٍ عندي)

ـ يقول بعض المؤرخين أنك كنت خبيرا بالكيمياء ، وعرفت كيفية تحويل المعادن الخسيسة مثل النحاس إلى معادن نفيسة مثل الذهب .
ـ هذا صحيح وهو مصدر ثروتي ،
ـ لكن بعض المؤرخين يؤكدون أنك كنت تسرق الذهب من المقابر الفرعونية مستغلا ثقة الفرعون بك .
ـ هذا قول الحاسدين ، حسدا وغيرة منهم وحقدا عليّ .
ـ ألم تكن من بني إسرائيل وقريبا لنبي الله موسى ، ما الذي جعلك تبغي عليهم ولا تتبع نبيهم ؟
ـ إن موسى يقيدني بتعاليم لا ترضي طموحي وتحرمني متع الحياة .
ـ وأين خبأت كنوزك ؟
ـ لن أبوح بهذا السر ، ستظل كنوزي مدفونة في باطن الأرض حتى لا ينتفع بها أحد في الدنيا .
ـ لقد كان آخر عهدك بالدنيا يوم خرجت على قومك في زينة تضاهي زينة الملك ، تريد الظهور عليهم وإذلالهم ، فخسف الله بك وبدارك الأرض .
ينتفض قارون القديم كمن لدغه أفعوان ويقف في موجهة قارون الجديد ، وهو يمسك رأسه بيديه ويصيح : يا للهول يا للهول ، يضيف قارون الجديد في حدة ، لقد نصحك المؤمنون من قومك وقالوا لك : (وابتغ في ما أتاك اللهُ الدار الآخرة ولا تنس نصيبكَ من الدنيا وأحسن كما أحسن اللهُ إليكَ ولا تبغ الفساد في الأرض) (١) ولكنك لم تستمع للنصيحة ونسبت الفضل لنفسك فلم تجد من ينصرك من دون الله ،
ظل قارون القديم يردد وهو يرتعد ياللهول٠ ياللهول بينما قارون الجديد يلاحقه بالسؤال : هل أنت نادم على كفرك ؟ يتراجع قارون القديم إلى الخلف وهو يهذي ، لم يعد يجدي ندم بعد أن وقعت الواقعة ، آآه لقد وقعت الواقعة ، ظل صوته يتردد بانخفاض مطرد وطيفه يشحب حتى تلاشى تماما .
هب قارون من نومه فزعا وهو يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ومن هذا الكابوس المخيف وذاك المصير المأساوي ، وضع يده على جبينه والأخرى

على صدره وظل يستغفر الله على ما أقترف من ذنوب وما أخذ بغير حق وراح يحصي أخطاءه وكيف أسرف على نفسه ، ويتساءل : ماذا سيفعل إذا أتاه الموت بغتة وجاء يوم الحساب (يوم لا ينفع مال ولا بنون)

الآن حان وقت الاعتراف بالأخطاء وتسمية الأشياء بمسمياتها ، لن تنجيني أموالي من هذا المصير المفجع ، إنها صحوة ضمير تأخرت كثيرا .
ليت هذا الصحفي جاء قبل ذلك ، يا سبحان الله لقد سبق أن قابلت عشرات الصحافيين والإعلاميين ، لماذا هذا الشاب بالذات ؟ إن مقارنته الساخرة بيني وبين قارون موسى والتي لا أدري هل جاءت عفوا أم قصدا كانت سببا في هذا التحول ، لابد من إصلاح المسار قبل فوات الأوان وقبل أن تقع الواقعة .
بعد مضي أسبوع ، ذهب الصحافي إلى مصنع قارون الجديد لاستكمال الحديث الصحفي طبقا للموعد السابق ، استقبله موظف الاستقبال معتذرا ، فالسيد قارون لم يعد يملك المصنع والمؤسسات الأخرى ، لقد تبرع ببعضها للجمعيات الخيرية لمساعدة المحتاجين والفقراء ، وأوقف الباقي لعلاج المرضى وإيواء المشردين ، ولم يحتفظ لنفسه سوى ببيت ريفي بسيط بجواره قطعة أرض صغيرة ، يقوم على فلاحتها بنفسه ليتقوت منها ، كما قرر الابتعاد عن الأضواء والتفرغ للعبادة .

.....

(١) سورة القصص الآية رقم (٧٧)

الكاتبة / نوال مهني أحمد أبو زيد

(٥)

وضاعت الأحلام

قصة / نوال مهني

بين النوم واليقظة رفعت فريدة رأسها ومدت يدها لتزيح الستارة عن النافذة القريبة من فراشها ، نظرت إلى السماء ، رأت الخيوط البيضاء تنتشر في الأفق معلنة قدوم الفجر الصادق .

عادت برأسها إلى الوسادة كانت مجهدة نتيجة للسهر الطويل وهي تفكر في أمورها وأوضاعها الجديدة ، نظرا لما طرأ عليها من ظروف وأحوال ، تنهدت في أسى وهي تستعرض الحوادث التي مرت بها .

آه ،، لقد انتهت أيام الحداد ، سامحك الله يا زوجي ، منذ زواجنا وأنت تكنز المال وتبخل علينا رغم ثرائك الكبير ، الذي لا أعرف مصدره حتى الآن . لماذا تعمدت ألاّ تخبرني بالحقيقة وتركتني للظنون ، فأصبحت معلوماتي عن ثروتك رجما بالغيب ؟ ماذا فعلت بالأموال وماذا فعلت بك؟! لقد عشت طوال عمرك تلهث في جمعها وتكديسها ثم رحلت وتركتها دون أن تنتفع بها أو تنفع غيرك .

الآن حان الوقت لأستمتع أنا بها وأعيش عيشة الملوك ، وأعوض ما فاتني من نعيم الحياة ، الحمد لله لا يوجد ورثة سوى أنا وأبنائي . سوف يحضر محاميك اليوم ويقرأ علينا الوصية التي تركتها معه ، بعدها نقوم بفتح الخزينة والمكتب ونعرف حجم الثروة وأين خبأتها ؟ ولماذا أخفيتها عنا ؟! تزيح الفراش قليلا وتفصح عن غيظها في تنهيدة طويلة .. آاه .. تبا له من بخيل أحمق ، كم كان مقترا في إنفاقه ، فلم نره يوما يعطي محروما أو يساعد محتاجا أو يعطف على فقير ! كانت يده دائما مغلولة إلى عنقه ، وها هو قد مات وترك كل شيْ ، دون أن يستمتع بشيء ، هذا جزاء البخلاء والذين ينسون نصيبهم من الدنيا . ٠

أما أنا فسوف أبتني قصرا منيفا يزدان بالأثاث الفاخر والتحف الثمينة ، وسأشتري أفخم الملابس وأغلى الحليّ. لن أترك المال في الخزائن والمصارف دون أن استمتع به كما فعل زوجي . أغلقت عينيها وراحت تتخيل القصر وقاعاته وشرفاته وردهاته والحدائق الغناء المحيطة به ، والجداول تتدفق خلالها عذبة رقراقة ، وهي ترفل في ملابس الأميرات وتخطو في دلال وخيلاء وكأنها تمشي على صرح ممرد بالقوارير. فتحت عينيها وذراعيها وهي تهتف في سعادة . وداعا لسنين الحرمان ومرحبا بالنعيم القادم .

نهضت من فراشها واتجهت إلى غرفة أبنائها ، وجدتهم في انتظارها ، وظل الجميع يتشاورون ويتبادلون الآراء والاقتراحات عما سيفعلونه بالأموال الوفيرة التي تركها لهم أبوهم .
بعد فترة من الوقت حضر المحامي ، وقرأ عليهم الوصية ، وكانت المفاجأة بل الصدمة القاسية غير المتوقعة ، التي فجرها في وجوههم كالقنبلة .
فالمتوفى كان عضوا في جمعية تؤمن بتناسخ الأرواح ـ أو بمعنى أدق تناسخ الأجساد ـ وكان يعتقد أنه عندما يموت سوف تحل روحه في جسد آخر ، وسيعود للحياة في صورة أخرى ، ولذا أودع أمواله في بنوك بعض الدول الأجنبية
هذه البنوك لا تتعامل بالأوراق والمستندات ، ولكنها تعطي للعميل كلمة ـ سر ـ هي كل العلاقة بينه وبين البنك ، وعلى العميل أن يحفظها ويذكرها للبنك إذا أراد استرداد أمواله ، فأن نسى الكلمة سقط حقه في استرداد ثروته ، فمن يعرف كلمة السر هو صاحب المال ، لا يهم من هو ، وأضاف المحامى : وحيث أن المرحوم لم يبح بكلمة السر لأحد ، وحيث أنه لم يسجلها في أوراقه حتى نعرفها بعد موته ، وحيث أننا لا نملك سبيلا آخر لمعرفة كلمة السر وبالتالي معرفة قيمة الأموال ومكانها .. فبناءً على هذه الحيثيات فقد ضاعت الثروة وعوضكم على الله .
سيطر الذهول على الجميع وظلوا واجمين وقد انعقدت ألسنتهم ، وظهر الغضب في وجوههم .
قطع المحامي الصمت قائلا : لقد مات أبوكم وسره معه ، واحتفظ به لحين عودته للحياة في جسد آخر فيتسلم أمواله بنفسه ـ حسب اعتقاده ـ
علق الأبناء في أسى وحزن بالغين : لا سامحك الله يا أبانا ، حرمتنا في حياتك وظلمتنا في موتك ، لا سامحك الله !
وهنا صاحت فريدة في غضب وحنق وصوتها مفعم بالحزن والإحباط وكأنها تهذي : هذا يفسر كيف كان يبتسم لي في خبث ، وينظر إليّ ساخرا، حينما سألته : ـ وهو يحتضر ـ عن مكان ثروته وكيفية الحصول عليها حال وفاته ؟ فلم يجبني ، لا سامحه الله ، ويا لحسرتي وتعاستي ، لقد بنيت قصورا في الهواء ، وضاعت أحلامي سدى .

.....

(القصة الفائزة بجائزة ـ أكتوبر انتصار شعب ـ التي أقامتها الشئون المعنوية للقوات المسلحة المصرية ٢٠١٦)

الشهيد الحي

(مذكرات مقاتل من أبطال حرب أكتوبر المجيدة)

قصة قصيرة ـ بقلم / نوال مهني

أمام مقبرة صغيرة كتب على جدارها الآية الكريمة (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)

وقف عبد الجواد في خشوع يقرأ الفاتحة ، اعتاد زيارة المقبرة كلما سنحت ظروفه ، منذ سنوات دفنت هنا أطرافه المبتورة ، وأوصى في وصيته لأبنائه أن يدفن معها بعد موته ، حتى يبعث مكتملا ـ كما يظن ـ لا يتصور أن يكون له قبران يحوي كل منهما جزءً منه ، إن أجزاءه تحن إلى بعضها وتشتاق إلى أن تجتمع .

في تأثر بالغ يحدث نفسه ، هذا الميت الذي أزوره أنا ، والحي الزائر أنا ، يا لها من مفارقة عجيبة ! لقد استشهد بعضي في معركة الكرامة والذود عن حمى الوطن ونال شرف الشهادة وبقى بعضي حيا يرزق، فأنا الشهيد الحي

انهمرت العبرات من عينيه ، وتدفقت الذكريات بلا توقف ،

على مقعد حجري قبالة المقبرة جلس ساهما ، آه كم كان وداعا حارا حين وقفت أقبل أبنائي وزوجي وأبويّ ، طالبا منهم الدعاء لي بالتوفيق والثبات موصيا إياهم بالصبر على الفراق . كنت أشعر أنني ذاهب بلا عودة وأنه الوداع الأخير .

لم أنس كلمات أبي وهو يوصيني ويشد على يدي : لا تخف يا عبد الجواد ، كن شجاعا يا بنيّ تفز بإحدى الحسنيين ، إياك أن تقصر في واجبك الوطني! ولا يزال صوت أبي يرن في أذني ويتردد صداه في أعماقي .

حان وقت العودة إلى وحدتي خرجت مرتديا حلتي العسكرية متجها إلى حيث يلتقي الزملاء في انتظار قدوم الحافلة التي ستقلنا إلى موقعنا .

قفزنا داخلها وانطلقت بنا ، رحنا نتبادل التحية والحديث عن أحوالنا .

أعوام عصيبة مضت قضيناها معا في مرمى النيران على خط المواجهة مع العدو ، استشهد الكثير من زملائنا أمام أعيننا ، وكدت أقضي نحبي أكثر من مرة ، لكن الله سلم ، وظللنا صامدين عازمين على مواصلة الجهاد مهما كان الثمن وطرد هذا العدو المتغطرس .

كان التراشق واستهداف العدو يوميا على خط القناة وهو ما عرف بحرب الاستنزاف التي أرقت مضاجع العدو، وألحقت به الخسائر الجسيمة ، غير أن العدو كان يستهدف الأطفال والمدنيين في وحشية خسيسة ، مما اضطر المسئولين إلى أخلاء مدن القناة من السكان وتوزيعهم على المحافظات ،

واستخدمت المدارس والأندية والمباني الحكومية المهجورة نزلا لهم ، وعانوا ظروفا معيشية صعبة ، نتج عنها مآسي إنسانية كثيرة .

تحمل سكان مدن القناة العبء الأكبر من التضحيات لوجودهم على خط المواجهة ، وإن كانت مصر كلها عانت ويلات الحرب ودفعت الثمن باهظا .

رغم هذا ظلت الروح المعنوية عالية لم تهزم ولم ترض إلاّ بالثأر، لذا كان الاستعداد على أشده ، لاستعادة الحق الضائع ، لم نعد نطيق الانتظار .
كنت أنظر من نافذة الحافلة متأملا أرض مصر بحقولها الخضراء ونخيلها الباسق تتخللها جداول الماء من روافد النيل العظيم . صدق هيرودوت حين قال : إن مصر هبة النيل ، وها قد تجاوزنا الوادي و أشرفنا علي حدود الصحراء الشاسعة التي كانت مسرحا للسجال مع المعتدين ، وكانت مصر عبر تاريخها مقبرة للغزاة ، آه يا مصر يا بلادي الغالية ، أرواحنا فداؤك يا أصل الحضارة ، يا مهد التاريخ ، ويا ملجأ الأنبياء والصالحين !
انتبهت على صوت السائق معلنا الوصول إلى موقع وحدتنا العسكرية . نزلنا جميعا ، يسود الشعور بأن ساعة الحسم قد اقتربت ، التدريبات لا تتوقف ، صدرت الأوامر بمنع الأجازات ورفع حالة الاستعداد القصوى . أخيرا صدرت الأوامر بالعبور وبدأت الملحمة ، كان القرار مدروسا وصائبا والتوقيت مناسبا ، في ست ساعات فقط انهار خط بارليف الرهيب تحت خراطيم المياه التي جرفت أكوام الرمال الكثيفة فظهرت أسفلها الدشم الحصينة التي ابتناها العدو متوهما أنها تمنعه وتحميه إلى الأبد بينما كانت القوارب تعبر حاملة الجنود الأبطال إلى الشاطئ الشرقي للقناة تحت مظلة من الطائرات التي أمطرت العدو بوابل من النيران أفقده توازنه وانتهت أسطورة الجيش الذي لا يقهر ، ورفع العلم المصري يرفرف حرا عزيزا فوق تحصينات العدو المدمرة ، وصدق الله وعده وأعز جنده .
كانت مهمتي وبعض رفاقي هي التسلل خلف خطوط العدو في جوف الصحراء ، لإبطال مواقع الصواريخ التي تستهدف جنودنا ، وبعد أن أدينا مهمتنا بنجاح رصدتنا طائرات العدو أثناء عودتنا وقذفتنا بالقنابل ، تصدينا لها وأسقطنا عددا منها .
ظللنا نقاتل حتى نفد ما معنا من ذخيرة ، فتمكن العدو من حصارنا في منطقة تسمى كبريت . نفد الماء والغذاء وكانت محنة عصيبة ، فقمنا بالحفر
في الأرض علنا نجد الماء ، و كانت معاناة شديدة ، نال منا العطش وظهر علينا الإعياء ، واعتقدنا أننا هالكون لا محالة ، وبعد جهد ومشقة ظهر الماء
فكبرنا وهللنا وعاودنا الأمل في النجاة . شربنا وملأنا ما معنا من أوعية .
مر ت أيام وأسابيع ونحن نفكر في طريقة للخلاص والفكاك من الحصار واكتشفنا طريقا ملتويا فتسللنا منه ،
انتبه العدو لهروبنا ، فظلت طائراته تجوب الصحراء بحثا عنا، كنا نتخفى نهارا ونتابع السير ليلا ، وكنت أسير خلف الفريق تفصلني عنه عشرات الأميال كنوع من التمويه ، على أن نلتقي في موقع محدد .
الطائرات تقصف كل هدف متحرك ، أصابتني قذيفة ، فقدت على أثرها الوعي ورحت في غيبوبة طويلة ، ويبدو أن الأعداء اعتقدوا أنني هلكت فتر كوني ومضوا ، فتحت عينّي في وهن شديد ونظرت حولي فرأيت أشلاء ممزقة وأطرافا آدمية ، فاعتقدت أنها جثث زملائي وأننا قتلنا جميعا ، تحسست ساقيّ فلم أجدها وغرقت يداي بالدماء، ظللت أردد الشهادتين وأنا لا أدرى إن كنت من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة

كنت كمن في سكرة الموت أو كمريض مخدر في غرفة العمليات . أغمضت عينيّ واستسلمت للموت . بعد فترة سمعت زملائي يتساءلون : أين ذهب عبد الجواد ؟ أين أنت يا عبد الجواد ؟
كنت أسمعهم ولم أستطع الإجابة ورأيتهم يتجهون نحوي ويتحسسون نبضي ويهمسون : إنه لا يزال حيا ، حملني أحدهم على كتفه وجمع آخر الأجزاء المبتورة في جوال وحملها وساروا علي الرمال عشرات الأميال وهم يتبادلون حملي وحمل أشلائي .
وعرفت فيما بعد أن الرفاق افتقدوني بعد أن طال تأخري ، فعادوا أدراجهم إلى الخلف للبحث عني .
أخيرا وصلنا إلى أقرب وحدة إسعاف ورأى الأطباء أن إنقاذ حياتي ميئوس منه ويحتاج إلى معجزة إلهية ومع ذلك بذلوا غاية جهدهم لإسعافي ، وتم نقلي لمستشفي كبير لإجراء جراحات دقيقة تناسب إصاباتي الخطيرة ، وتناثرت إلى سمعي همسات الأطباء : ليس أمام المصاب سوى بضع ساعات ليلفظ أنفاسه الأخيرة ، ويرد بعضهم علينا أن نحاول مهما كان الأمل ضعيفا .
نجحت العمليات الجراحية التي استغرقت ساعات طويلة ، ووهب الله لي عمرا جديدا ، وتم دفن أجزائي المبتورة في أقرب مدفن .
بعد أن تحسنت صحتي قليلا زارني الزعيم وأثنى على بطولتي وشجاعتي وسألني أن كنت أريد شيئا فقلت له : أذا قدر لي الشفاء أريد أن أعود إلى
وحدتي للدفاع عن وطني ، نظر الجميع إليّ في تعجب ! وابتسم الزعيم قائلا : أنت مدرسة الوطنية والبطولة والمثل الأعلى في التضحية والفداء ، إن شعبا أنجب مثلك لن يقهر أبدا . ودعني الزعيم وانصرف بعد أن أوصى بتوفير الأطراف الصناعية اللازمة لحالتي وكل سبل العلاج والراحة .
بعد شهور تم شفائي وخرجت من المستشفى ، لم أتجه إلى بيتي بل اتجهت إلى وحدتي راجيا قائدها السماح لي بالقيام بمهامي الجهادية في الحرب ، في البداية عارض إشفاقا عليّ قائلا : أنت أديت واجبك ويكفي ما قدمت لوطنك من تضحيات . أمام إصراري وافق مضطرا أن يضمني إلى سلاحي .
تبوأت موقعي في وحدتي ، وعهد إليّ بمهمة التنشين التي أجيدها لإسقاط طائرات العدو المغيرة . كان بعضها هدفه القتال وبعضها هدفه التجسس .
تم إعداد المنصات وتجهيز الصواريخ ، وقمت بضبطها وتحديد الأهداف وتوجيهها ، وفوجئ زملائي وقائد الوحدة بأن عبد الجواد الذي يعيش بأطراف صناعية أسقط عددا من الطائرات وأسر من بقى حيا من قادتها بينما لاذت باقي الطائرات بالفرار .
أقبل قائد الوحدة مهنئا وهو يهتف : عاش البطل ، لقد كللت مهمتك بالنجاح ، وأديت واجبك المقدس ، وثأرت لوطنك ولنفسك من المعتدين ، وسوف يتم رجالنا البواسل مهمة تحرير الوطن بإذن الله ، وتم تحرير الوطن ، وكان انتصارا عظيما في السادس من أكتوبر١٩٧٣ م ، وأثبت الجيش المصري وجنوده الأبطال أنهم خير أجناد الأرض .

بائع الصحف الصغير

على شاطئ البحر جلست على كرسي صغير . تركت قدميها الحافيتين تداعبان الأمواج وحبيبات الرمل المبللة . ظلت تنظر إلى الأفق البعيد حيث الفضاء الشاسع والامتداد ألاّ نهائي . يمتد بصرها دون أن يصده شيء ، تشعر براحة كبيرة حين تنظر إلى البحر، كانت في حالة من التأمل الحالم سبحان الخالق العظيم ! رددتها إلهام في همس عدة مرات .

رغم زحمة المصطافين حولها لم تشعر بهم ، وكأن البحر ملك خاص لها . انتبهت على صوت بائع الصحف الصغير وهو ينادي على صحف الصباح أشارت إليه ، فأقبل نحوها تلوح على وجهه الأسمر ابتسامة هادئة ، ابتاعت بعض الصحف وأعطته الثمن قائلة : خذ الباقي لك .

ـ شكرا يا ست ربنا يكرمك .

ـ ألست أنت حسين ؟

ـ بلى أنا حسين .

ـ لقد كبرت عن العام الماضي .

ـ هذا أمر طبيعي .

ـ وأين والدك لقد كنت تسير بجانبه ، تحمل عنه الصحف وتردد النداء خلفه؟

تبدل وجه الصبي ابن الثانية عشرة وتساقطت الدموع من عينيه وهو يجيب بصوت متقطع : الله يرحمه لقد مات منذ شهور .

ـ البقاء لله ، عليه رحمة الله ، ربنا يبارك فيك أنت ، هل لك أخوة ؟

ـ نعم لي أختان ، الأولى تكبرني بعام والثانية تصغرني بعام وأمي مريضة .

ـ وكيف تدبرون معيشتكم بعد وفاة والدك ؟

ـ كان أبي يعمل خفيرا لأحدى العمائر ، ونقيم في حجرتين صغيرتين أسفل العمارة وفي الصباح نبيع الصحف ، وكنا راضين بهذا الدخل المتواضع ونعيش مستورين ، لكن الآن ضاقت علينا الحياة .

ـ كان الله في عونك يا بني ، أرجو أن تحضر لي غدا نفس الصحف التي أخذتها منك اليوم ، ستجدني في نفس المكان .

أومأ الصبي بالموافقة ثم انطلق يعدو و ينادي على الصحف .

عادت إلهام إلى بيتها وهي تفكر في مشكلة حسين ، كيف يتحمل صبي صغير عبء أسرة من أربعة أفراد . يا له من حمل ثقيل أعانه الله عليه ! وكيف تعيش أسرة بهذا الدخل الضئيل ! يا لقسوة الحياة على هذه الأسرة البائسة بعد فقد عائلها !

لا بد من عمل شيء لمساعدة هذه الأسرة كي تحيا حياة كريمة . تحدثت مع قريباتها وصديقاتها عن كيفية مساعدة أسرة حسين واستطاعت أن تجمع بعض الأموال تبرعا من أهل الخير ، ولكن هذا ليس حلا أو لنقل أنه حل مؤقت ، فماذا بعد أن ينفد هذا المبلغ ؟

وقع نظرها على إعلان على صفحة الجريدة : يطلب فتيات للعمل في مركز للمشغولات الفنية . أسرعت بالاتصال بالمركز على رقم الهاتف المنشور بالإعلان . أخبرتها المسئولة أن المركز يقوم بتدريب الفتيات مجانا لمدة شهرين ، وإذا اثبتن تقدما وقدرا من المهارة يصرف لهن نصف أجر في الشهر الثالث ، ثم يعقد لهن اختبار وفي حالة النجاح يتم اعتمادهن منتجات ومدربات ـ لا متدربات ـ ويحصلن على أجر شهري مجز .

فرحت إلهام بهذه الأخبار وشعرت أن فيها طوق نجاة لأسرة حسين . في صباح اليوم التالي جلست على الشاطئ في انتظار قدومه . بعد قليل حضر الصبي وبعد أن ابتاعت الصحف طلبت منه أن يصطحبها إلى منزله لمقابلة والدته وإخوته .

في حجرة متواضعة أسفل إحدى البنايات التقت إلهام بالأم وبناتها وقدمت لهن مبلغ المال الذي جمعته ثم عرضت عليهن عمل البنات في مركز المشغولات وشرحت لهن الفكرة كما عرفتها من مسئولة المركز . رحبت الأم بالفكرة ، فقامت إلهام باصطحاب الفتاتين إلى المركز وتعهدت بمتابعتهما والسؤال عنهما ، وكانت سعادتها كبيرة حينما علمت إن الفتاتين قد أظهرتا تفوقا يستحق الثناء .

ذات صباح جلست إلهام على الشاطئ كعادتها ووضعت قدميها الحافيتين في الماء . بعد دقائق حضر بائع الصحف . كان سعيدا مبتسما وأخبرها أن الأختين

قد تم اعتمادهما مدربات ومنتجات بالمركز بأجر كبير .

شعرت إلهام بارتياح وسعادة تغمرها وهي تحدق في الأفق وتردد : الحمد لله الذي هدانا لهذا (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)

بعيون دامعة ونظرات حزينة ، وقفت نبيلة أمام المرآة ، تتأمل ملامحها الذابلة وبشرتها الباهتة ، وقد سيطرت عليها مشاعر القلق واليأس والكآبة راحت تتفحص وجهها الشاحب . وترصد علامات الزمن التي بدأت تزحف عليه لتقضي على ما بقى من نضارة الشباب .
أفزعتها رؤية شعيرات بيضاء ظهرت في جانبي الرأس . حاولت إزاحتها بيدها ، لكنها انفلتت من بين أصابعها وبدت تحت الإضاءة أكثر بياضا ولمعانا ، وكأنها تتحداها أو تسخر منها .
جلست على حافة السرير تجتر ذكرياتها وقد أمسكت رأسها بيديها ، آه.. ما أقسى أن يظهر الشيب في رأس عذراء .
تساقطت العبرات من عينيها وتنهدت بعمق وكأنها تحمل على كتفيها تلالا من الهموم . من الآن أصبحتُ وحيدة في هذا البيت الكبير بلا أنيس ولا جليس . سامح اللهُ أمي وأبي ، أضاعا شبابي وقضيا على أحلامي بالتعالي والعناد ، رغم أنني كنت طوال عمري ابنة مطيعة لهما ، لم أشأ مخالفتهما في أخص أمور حياتي طلبا لرضاهما عني ، وها هما قد فارقا الدنيا وتركاني وحيدة ، رحمهما الله ، كانا يعتقدان أن ما يفعلانه لصالحي ، ولكن خانهما التقدير .
منذ سنوات مضت لم يكن يمر أسبوع دون أن يأتي إلى بيتنا من يرغب في خطبتي أنا أو أختي التي تصغرني ،
كانت أمي تصر أن يكون العريس من علية القوم ، لكي يليق ببناتها ـ بنات الأكابر والأصول ـ وتردد على أسماعنا دائما ـ في فخر ـ حكايات عن جدها الباشا السفير ، وأبيها البيك عضو البرلمان ، وأخيها البكباشي القائد العسكري ، وكيف كانوا يتمسكون بالأصول العريقة التي ورثتها عنهم ، ونسيت أمي أن عهد الباشوات والباكوات قد انتهى ، أما أبي فكان يصر على زواج الابنة الكبرى أولا ، طبقا للتقاليد .
وبالطبع أغلب المتقدمين غير لائقين اجتماعيا ، ولا تتوافر فيهم المواصفات والشروط التي وضعتها أمي . و يتصادف ـ أحيانا ـ أن يكون العريس مناسبا ولكن يكون الطلب على أختي التي تفوقني جمالا ، وترضى أمي عن الخاطب وتوافق عليه ويرفض أبي ويصر على زواجي أولا ، فينصرف الخاطب ولا يعود ،

-١-

لم ينتظر الزمن حتى يكف أبواي عن العناد ويتفقا على رأي .

تقدم بنا العمر ، وتضاءل عدد المتقدمين لخطبتي أنا وأختي . لن أنسى ما حييت حينما حضر أحد الشباب لخطبتي ـ بعد أن سمع من يثني على خلقي وأصلي الطيب ـ كان البيت كله مهيأ لاستقباله ، الثريات مضاءة وآنية الزهور في المدخل ، والجميع يرتدون الملابس الرسمية ، فمعلوماتنا عن العريس القادم أنه مستوفٍ للشروط اللازمة لبنت الأكابر ـ كما وضعتها أمي ـ عندما دق جرس الباب ، وفتحت الخادمة دخل الشاب يرتدي حلة فخمة ورباط عنق أنيق ويحمل باقة من الورد وبصحبته أمه ، سيدة ذات هيئة ارستقراطية وبيدها علبة حلوى فاخرة ، ويبدو على محياهما السرور استقبلهما أبي وأمي بترحاب شديد ، وأرسلا الخادمة تدعوني لمقابلة الضيوف . ما أن رأتني السيدة حتى عبس وجهها وزمت شفتيها وسلّمت عليَ في برودٍ ثم سألتني عن عام تخرجي في الجامعة ، وبعدها سحبت ابنها الذي لم يعرني اهتماما واستأذنا في الانصراف متعللين بأن لديهما موعدا هاما مع الطبيب .

كان واضحا أن السيدة وابنها يريدان عروسا صغيرة ، أما أنا فقد بلغت الأربعين . عدت إلى حجرتي حزينة كسيرة الخاطر . الآن أصبحنا نُرفض من الخطّاب بعد أن ظللنا لسنوات نرفض المتقدمين إلينا بحجج واهية . وتقاليد بالية .

من المواقف التي لا تفارق ذاكرتي ما حدث في إحدى المرات ، حينما اشتد الخلاف بين أمي وأبي ، فهي تصر على قبول الخاطب المتقدم لأختي لأنه يليق بها ، وأبي يصر على زواجي أولا ، لأنني الأكبر سنا، وتمسك كل منهما برأيه ، ونتيجة للانفعال الشديد حدثت لأبي أزمة قلبية ، وارتفع الضغط عند أمي مما استدعى نقلهما إلى المستشفى ، وظلا في العناية المركزة لعدة أيام ، وعندما أفاقا وجدا ني وأختي إلى جوارهما . كانا ينظران إلينا بإشفاق وسمعت أبي يقول لأمي : ماذا لو متنا وتركنا هاتين الفتاتين وحيدتين !! فترد أمي : كل القريبات والزميلات اللائي في مثل عمريهما أصبحن زوجات وأمهات . كانت دموع الحزن والندم تتساقط من عيونهما خوفا علينا ولكن بعد فوات الأوان .

توفيت أمي ولحق بها أبي بعد فترة قصيرة ، وبعد انتهاء الحداد تقدم لخطبة لأختي شاب ، وافقت أختي على الفور وتم الزواج وأنجبت طفلا واستقرت حياتها .

بقيت أنا وحدي في هذا المنزل الكبير الذي استحال أنسه إلى وحشة أحمل لقب عانس إلى جانب لقب بنت الأكابر .
انتبهت على صوت الخادمة تخبرها بأن عمتها تنتظرها في حجرة الاستقبال
ـ عمتي !! وهل عادت من أوربا ؟
ـ تقول أنها قادمة لتوها من السفر .
أسرعت نبيلة لاستقبال عمتها ، وبعد السلام والعناق الحار انخرطت كلتاهما في البكاء والحديث عن الراحلين . لاحظت نبيلة وجود طفل صغير بجوار عمتها فسألتها عنه أجابت العمة : إنه عادل حفيدي ابن شهير .
توفيت أمه وهي تضع وليدها الثاني ، ولم يتزوج شهير بعدها ، ومن يومها وعادل يعيش معي .
احتضنت نبيلة الطفل وقبلته في حنان ، وأردفت العمة قائلة : شهير تعب من الغربة وقرر نقل أعماله إلى مصر وسيعود قريبا ويستقر هنا ، ويرغب في الزواج من بنات بلده ، فلم يكن سعيدا مع زوجته الأجنبية ، وقد كان هذا رأيي منذ البداية ، فما رأيك أنت ؟
ـ رأيي أنا ! في ماذا يا عمتي ؟
ـ في زواجك من شهير .
ـ لكن شهير لم يرني منذ سنوات ، وربما لو رآني الآن لا أروق له، وربما يريد فتاة صغيرة كي تنجب له الأطفال ،
ـ بالنسبة للأطفال ها هو عادل لن يجد له أما أفضل منك ، ومن يدري ربما يهبك الله طفلا . أنت لم تصلي بعد لسن اليأس ، ولقد تحدثت مع شهير في أمر زواجه بك فرحب ، فكلاكما يليق بالآخر ، وهو الآن ينتظر ردك على طلبه ، فماذا ترين ؟
ـ شهير رجل محترم ولا عيب فيه .
ـ لقد كنت ابنة بارة بوالديها ولذا سوف يعوضك الله خيرا .
شعرت نبيلة بدبيب الحياة في جسدها ، وغاب شبح الوحدة عن عينيها ، وتهللت أساريرها وهي تجيب في حياء ، الرأي رأيك يا عمتي .

المؤذن

قصة بقلم / نوال مهني

في غبشة الفجر ، انطلق صوت المؤذن مدويا عبر مكبر الصوت ـ الله أكبر الله أكبر ... توافد الناس إلى المسجد للصلاة ، وقف المؤذن يؤمهم ، وما أن قضيت الصلاة وبدأ المصلون في الانصراف حتى فوجئ المؤذن باثنين من العسكر ـ غلاظ شداد ـ يقفان عن يمين وشمال يمسكان بذراعيه ويجذبانه عنوة ، صاح فيهما : أتركاني أنا مؤذن المسجد وأمامه ، من أنتما وماذا تريدان مني ؟

صاح أحدهما بصوت أجش : أصمت يا رجل وامض معنا ، وأضاف الثاني بغلظة : ودون مقاومة.

استسلم الرجل وخرج ثلاثتهم ، أمام المسجد قذفا به داخل عربة الشرطة ، سقطت فردة حذائه ، لم يسمحا له بالتقاطها ، وعندما وصلت العربة إلى قسم الشرطة جذباه عنوة فسقطت فردة الحذاء الثانية ، أمسكا به يجرانه جرا حافي القدمين .

داخل قسم الشرطة وأمام باب فخم مقفل يجلس حاجب يرتدي الزي العسكري ، صاح فيه أحدهم : بلغ الباشا بوصول المطلوب ، هب واقفا وأسرع إلى الداخل وعاد يشير بالموافقة ، فأخذا يدفعان المؤذن إلى الداخل بقسوة ـ رغم عدم مقاومته ـ

وقف مواجها للضابط الجالس على مكتبه ، والذي راح ينظر إليه في غرور واستعلاء ثم بادره بالسؤال: أأنت مؤذن المسجد القريب من القسم ؟

ـ نعم أنا مؤذن المسجد وإمامه ، ولا أدري لماذا جئ بي إلى هنا ؟

ـ أنت تزعجنا بصوت آذانك في الفجر .

ـ هذا عملي الذي أتقاضى عليه أجرا، ومن واجبي أن أدعو الناس للصلاة .

ـ ولكن مكبر الصوت الذي تستخدمه يدوي في المنطقة كلها ويزعجنا وأنا رجل أعمل طوال النهار ولا أنام إلاّ في هذه الفترة فأستيقظ مفزوعا متعبا .

ـ ما دمت قد استيقظت فلماذا لا تأتي للصلاة ؟ الصلاة خير من النوم .

ـ قلت لك أكون متعبا ، فكيف أخرج للصلاة ؟!

ـ بإمكانك أن تصلي بالمنزل .

ـ ليس هذا شأنك ، عليك أن تكف عن الآذان .

ـ وكيف يأتي الناس للصلاة ؟

ـ من أراد أن يصلي سيذهب دون آذان ، هل كان يوجد مكبر صوت أيام الرسول والصحابة ؟
ـ كان عدد الناس قليلا وإيمانهم قويا ، ثم أننا يجب أن نستفيد من العلم في الدين والحياة ، وأعدك أن أخفض صوت الميكرفون حتى لا يزعجك .
ـ لا أريد نقاشا ولا جدالا ، أنا أحذرك من استخدام مكبر الصوت أو الأذان في الفجر خصوصا، أتريد أن تزعج الناس وتقلق راحتهم وتنهاهم عن العمل بنشاط ؟
ـ الصلاة لا تنهى عن العمل بنشاط بل تحث عليه ، ولكنها تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ،
ـ لا أريد خطبا و مواعظا . إذا لم تلتزم سأغلق المسجد و سألقي بك في السجن أفهمت ؟
ـ ولكني أرى ....
ـ لا رأي لك .. الرأي ما أراه أنا .
ـ لقد قالها من قبلك (لا أريكم ألاّ ما أرى)
استشاط الضابط غضبا وصاح فيه أغرب عن وجهي يا هذا ، واحذر مخالفة الأوامر .
أمسك العسكر بالمؤذن يدفعونه للخارج بقسوة حتى كاد ينكفئ على وجهه .
سار حافيا حتى وصل إلى بيته واجما حزينا . تكسو ملامحه علامات الأسى كان يشعر بالظلم والهزيمة والانكسار .
فزعت زوجه لرؤيته على هذه الصورة وسألته : هل سرق اللصوص حذاءك أو أساءوا إليك ؟
أجاب في اقتضاب : نعم سرقوا حذائي وأساءوا إلّي، حسبي الله ونعم الوكيل
تمر الأيام ثقيلة بطيئة وهو يؤذن داخل المسجد ـ دون مكبر الصوت ـ بعد أن توقف عن آذان الفجر ـ صوته الواهن لا يصل إلى الحوائط ولا يتعدى الأبواب ، تناقص عدد المصلين ، وتناقل الناس ـ همسا ـ قصصا وإشاعات من نسج خيالهم عن مؤذن المسجد الذي منع من الآذان ، كثرت الأقاويل والتهم المختلقة ، وانقسم الناس فريقين ، بعضهم يتهمه ويتحامل عليه وبعضهم يبرئه ويدافع عنه ، وهو صابر محتسب .
في أحد الأيام ، وفي غبشة الفجر سمع صوت المؤذن قويا مدويا يجلل في الفضاء ـ عبر مكبر الصوت ـ الله أكبر أالله أكبر ... هرع الناس إلي المسجد وعرفوا أن الضابط ـ مأمور القسم ـ قد نقل إلى محافظة نائية ، وحجبت عنه الترقية لسوء سلوكه .

عمرو ومنى

منذ أن تفي والداه وهو يشعر بالوحدة والضياع ، بعد أن حرم من الحنان والحب .

لم يشعر أخواه اللذين يكبرانه بهذا الإحساس ، بل كبرا وتزوجا وأنجبا ومضت حياتهما دون مشاكل .

أما هو فقد انطوى على نفسه لأن إحساسه بالفقد كان شديدا ، ربما لصغر سنه وشعوره المرهف ، كل من يعرفه يشهد له بطيبة القلب وهدوء الطبع وقلة الكلام ، لم يهتم أحد بأمره ففشل في إتمام تعليمه ، كان عليه بعد أن أصبح على أبواب العشرين أن يبحث عن عمل ، تلطّم كثيرا ، حاول أصدقاؤه مساعدته وحملوا توصيات من آبائهم إلى من يعرفون من أصحاب الأعمال لكنهم لم يوفّقوا ، الجميع يعد ولا يفي .

أرشدته إحدى الجارات إلى أرملة تطلب سائقا للعمل على السيارة التي تملكها والتي كان زوجها يعمل عليها سائقا قبل وفاته .

اعتقد عمرو أن مهنة سائق تناسبه تماما ، فكم كان يجلس بجوار أخيه الأكبر وهو يسوق سيارة الأجرة وتعلم منه مبادئ القيادة وكيفية معاملة الركاب .

ذهب بصحبة الجارة التي قدمته للأرملة بعد الثناء على خلقه وأمانته ، وافقت الأرملة على أن يعمل سائقا لعربتها وأجرت له راتبا مجزيا وأخذت عليه عهدا بالحفاظ على السيارة والصدق والأمانة في المعاملة .

منذ الصباح الباكر تسلم السيارة وبدأ العمل .

عرف بالأمانة والالتزام بقواعد المهنة . صار الزبائن يطلبونه من خلال هاتفه الجوال الذي اشترته له صاحبة السيارة ويجزلون له الأجر لأدبه وإخلاصه في خدمتهم .

فرحت به الأرملة ، واعتاد هو على ترحيبها به والاحتفاء بقدومه كلما جاء ليقدم لها حصاد اليوم ، لاحظت السيدة أنه مهموم دائما كمن يحمل حملا ثقيلا على ظهره ، اقتربت منه وتحدثت إليه في حنان داعية إياه أن يفصح لها عن همومه ومتاعبه .

(١)

في صوت مفعم بالحزن والأسى أخبرها أنه يشعر بالوحدة والغربة في بيت والديه حيث يقيم أخواه وكل منهم له زوج وأبناء ، لذا فهو يشعر بالحرج فلا مكان له بينهم ، وخاصة أن المنزل صغير ويضيق بهم جميعا .
شعر عمرو بتعاطفها معه وتقديرها لظروفه ولذا استجاب لطلبها حينما عرضت عليه أن يقيم بمنزلها الصغير حيث أن لديها حجرتان بالطابق العلوي بهما بعض الأثاث القديم ولا حاجة لها بهما ، لكنه أصرّ على أن يدفع أجر الحجرتين ، منذ ذلك التاريخ بدأت حياته تتغير . فعند عودته من عمله يجد البيت نظيفا مرتبا ، وملابسه مغسولة ، وطعامه معدا .
اعتادت السيدة أن تتودد إليه ، وتشكو له همومها وحياتها الفارغة المملة بلا زوج ولا أبناء يؤنسون وحشتها ولا أقارب يسألون عنها ، ولا أحد يهتم بأمرها رق عمرو لحالها وقرر أن يتزوجها ، رفض أخواه الفكرة وكانت معارضتهما شديدة ، فهم يرون أنه زواج غير متكافئ ، كيف يتزوج شاب في العشرين من أرملة في الخمسين ولا تنجب ؟!
غير أن عمرو أصر على الارتباط بها فقد سيطرت عليه وأحكمت الدائرة حوله ، فلم يستطع الفكاك من أسرها ، فهو يعمل لديها ويقيم في بيتها .
رفض أهله جميعا حضور حفل زواجه ، ثم انقطعت صلتهم به .
مضت عشر سنوات على هذه الحال ، حياة فارغة من المشاعر والحب .
كل ما يربطه بصاحبته أنها توفر له العمل والمأوى .
كثيرا ما سأل نفسه ـ لماذا قبل هذا الوضع منذ البداية ورضي به رغم معارضة أهله، ، هل بسبب تعطشه لحنان الأم التي فقدها صغيرا ؟ أم لظروفه الصعبة وهو لا يملك مؤهلا ولا مالا ؟
عشر سنوات هي أجمل مراحل العمر قضاها بلا حب أو رضا عن الذات ، حينما يعود مساءً بعد نهار كامل من العمل الشاق ، يشعر بالبرودة تدب في أوصاله ـ رغم حرارة الطقس ـ بدأ الاكتئاب يتسرب إلى نفسه ، كل الأيام متشابهة ، لا جديد في حياته ، الزوجة لا هم لها سوى ما يأتيها به من نقود ، وتحاسبه حسابا عسيرا إذا قل محصول أحد الأيام ، غير عابئة بما يلاقيه من تعب وما يبذله من جهد ، وكأنه آله تعمل دون حس أو شعور وليس إنسانا من لحم ودم ، مما زاده رهقا فزاد شعوره بالغبن .

(٢)

أخيرا جاء اليوم الموعود ، فأثناء سيره بسيارته استوقفته إحدى الفتيات وطلبت منه توصيلها إلى مكان ما ، حمل عنها حقيبتها ووضعها بجوارها وهو يقول : ـ إلى أين يا ست الكل إن شاء الله ؟

ـ إلى شارع ناصر ، متفرع من ميدان الجيزة .
ابتسم عمرو وهو يحدث نفسه ، يبدو أن الفتاة جارتي فهذا نفس الشارع الذي أقطنه ، طوال الطريق وعيناه على المرآة يسترق النظر إلى صورتها ، يا لها من رائعة ، جميلة ، هادئة الملامح ، ناعمة الصوت ، انتبه على صوتها :
حاسب توقف لو سمحت . أوقف السيارة ثم هبط مسرعا وأخرج الحقيبة وقدمها إ ليها باسما ، ناولته الأجرة وضعها في جيبه دون أن ينظر فيها وهو يهمس مع السلامة .
ركب سيارته وسار ببطء وعيناه تتابعها حتى دخلت منزلها ، شعر بجسده ينتفض . إحساس غريب لم يعرفه من قبل ، لماذا هي بالذات ؟ كثيرات هن من يركبن سيارته كل يوم دون أن يتركن أي أثر في نفسه .
في صباح اليوم التالي تعمد أن يمر بسيارته من أمام منزلها ، فإذا بها واقفة ، أشارت إليه : تاكسي ـ تاكسي ممكن وسط البلد ؟ توقف ونظر إليها قائلا يا محاسن الصدف ، هل تسكنين قريبا من هنا ؟
ـ نعم ولكني أذهب إلى عملي وسط البلد كل صباح .
ـ إذن نحن جيران ، هل تسمحين لي بتوصيلك كل يوم ؟
ـ يسعدني والله فأنا أعاني من زحمة المواصلات .
ـ ليتك تشرفيني بمعرفة اسمك .
ـ اسمي منى .
ـ عاشت الأسامي ، وأنا عمرو .
أصبح اللقاء اليومي بين عمرو ومنى هو الأمل الذي يعيشان من أجله وعرف الحب طريقه إلى قلبيهما ، تجلس إلى جواره ، يتحادثان ويشكو كل منهما متاعبه إلى الآخر ، وكثيرا ما كانا يختلسان بعض الوقت في الذهاب أو الإياب ليقفا فوق كوبري قصر النيل يتناولان سندوتشات الفول والفلافل وحبات الترمس والذرة الساخنة والبطاطا المشوية .
سنوات مرت زادتهما قربا وتعلقا وكل ما يرجوانه أن يكلل حبهما بالزواج .

(٣)

ظلت تشجعه أن يتقدم لخطبتها ، وظل يتردد خشية رفض أسرتها بسبب ظروفه المالية ، غير أنه ظل متمسكا بالأمل ، معتصما بالصبر ، حتى تتحسن الظروف .

طال الانتظار وبدأ الملل يتسرب إلى قلب منى ، فقرر عمرو الاستعانة بأخويه وذهب إليهما بعد انقطاع طويل ، نصحه أحدهما أن يترك هذا الآمر حتى يستطيع الاعتماد على نفسه في أمور معيشته ، ونصحه الآخر أن يخلص الدعاء والعبادة لعل الله يجعل له مخرجا ، تذكر عمرو أنه هجر الصلاة بعد وفاة أمه التي كانت تحثه عليها وتذكره بمواعيدها ، شعر بخيبة أمل من رد أخويه فقرر إرجاء مشروع الخطبة .

ذات يوم ظل واقفا بسيارته ولكن منى لم تحضر ولم تذهب إلى عملها ، طال انتظاره على ناصية الشارع وعيناه على المارة ولكنها لم تظهر ، عاد إلى البيت حزينا كاسف البال ، سألته زوجه عن سبب عودته مبكرا فأخبرها أنه مريض ولن يستطيع العمل هذا اليوم .

ـ إذن ضاع إيراد اليوم ، عندما خرجت صباحا كنت معافى فما الذي حدث ؟ !

ـ لست أدري غير أني شعرت بإرهاق شديد ، ولم استطع قيادة السيارة إلاّ بصعوبة فعدت كما ترين .

تبرمت الزوجة وزمت شفتيها وتركته وذهبت لبعض شئونها . ظل عمرو قلقا

يتقلب في فراشه ويتساءل ترى ماذا حدث لمنى ؟ وما سر غيابها ؟ هل هي مريضة ؟ هل عرف أهلها بقصتها معه فمنعوها من الخروج ؟

خرج متجها إلى بيتها ، وراح يدور حوله خائفا يترقب ، لكنه لم يرها ولم يجرؤ على السؤال عنها فعاد حزينا وقضاها ليلة نابغية .

في الصباح خرج بسيارته سالكا نفس الطريق فإذا بها تقف في انتظاره ، تهلل وجهه وقال : يا بشرى هذه منى ، اقترب منها فاتحا باب السيارة ، بدأها بالحديث عن غيابها بالأمس ولماذا هي باكية دامعة العينين ؟

ـ بالأمس تقدم لخطبتي شاب ممتاز في نظر أسرتي .

ـ ولماذا لا ترفضينه ؟!

ـ ظللت أرفض بحجج واهية وأصبحت غير قادرة على مواجهة الضغوط وأهلي يصرون على قبول الخطبة .

(٤)

ـ ما الحل إذن ؟

ـ الحل أن تتقدم حالا لخطبتي ، هذه فرصتك الأخيرة .

وعدها بالتقدم لخطبتها في أسرع وقت ممكن ، في نهاية اليوم عرج على بيت أخويه مستنجدا بهما للذهاب معه لخطبة منى ، وافق الأخوان بعد إلحاح . وكان السؤال الأول الذي وجهه والد منى لعمرو هو : كم دخلك الشهري وهل لديك شقة ؟ وهل تملك السيارة التي تعمل عليها ؟ صمت عمرو وتكفل أخوه الأكبر بالإجابة عنه قائلا : عمرو لا يملك شقةً ولا سيارة ولكن بإمكانه أن يعمل على سيارة أجرة بأجر معقول يكفي متطلبات المعيشة . رد الأب في سخرية : حين يملك بيتا ودخلا مضمونا ساعتها فقط يفكر في الزواج .

انصرف عمرو أسفا حزينا ، ولكن منى أصرّت على التمسك به وإعطاءه فرصة لترتيب أموره ، أمام إلحاحها وتوسلاتها وعدها الأب بالتفكير في الأمر والسؤال عنه ، وأسفرت التحريات أن عمرو متزوج من أرملة تنفق عليه ويقيم في منزلها وهذا ما كانت منى تخفيه عن أسرتها ، فجاء رفض الأب هذه المرة باتا وقاطعا ، ومنع ابنته من الخروج بعد أن رتب لها أجازة طويلة مع جهة العمل .

بعد أيام تمت خطبة منى للشاب التي ترضى عنه الأسرة ، لم يستطع عمرو تحمل الصدمة القاسية ، فتدهورت صحته وساءت حالته النفسية ، ولم يجد متنفسا سوى كوبري قصر النيل ، يقف مرتكزا على السور الحديدي متخيلا منى أمامه تقاسمه حبات الترمس والذرة ، وتبادله النظرات والبسمات وأحاديث الحب والهوى ، أهمل عمله فضاقت الزوجة به ، وهددته بأن تستأجر سائقا آخر يقوم بالعمل ، بل هددته بطرده من البيت إذا لم يعد لسيرته الأولى ، شعر عمرو بالهوان والضياع وتفاهة حياته ، فماذا بقى له كي يعيش من أجله ، بعد أن فقد حبيبته وتحطم حلمه في السعادة .

ضاقت به السبل وغلّقت كل الأبواب دونه ، أحس بضغوط شديدة تطبق على رقبته فقرر التخلص من حياته .

وقف على الكوبري ليكتب الرسالة الأخيرة لمنى عسى أن تصل إليها ـ الوداع يا أعز وأجمل منى ، ثم يخرج حبلا ويربطه بأحد الأعمدة المنتشرة على الجسر ويلفه حول عنقه ثم يقفز من فوق الجسر ليلقى حتفه غرقا في النيل ومشنوقا بحب منى .

الرحلة رقم عشرة

تنهد بعد أن أغلق حقيبته ، الذي اعتاد أن يأخذها في رحلاته الكثيرة ، حينما اشتراها اجتهد في اختيارها بحيث تكون صغيرة وذات عجل متحرك حتى لا ترهقه بجرها وهو لا يقوى على حملها ، فكل ما يضعه فيها القليل من مستلزمات الرحلة .

تهيأ للنوم بعد أن ضبط منبه الهاتف على الساعة الخامسة صباحا ، ثم أسلم رأسه للوسادة وأغمض عينيه متمنيا أن يستغرق في نوم هادئ عميق ، لكن عينيه أبت الاستسلام للنوم الذي هرب منها مفسحا المجال لموجات من الذكريات التي تخترق حواسه ، تململ في فراشه كمن يستجدي النوم ، تعاوده الذكريات في إلحاح شديد ، آه منذ سنوات مضت وبالتحديد منذ وفاة زوجتي ثم بلوغي سن التقاعد بعدها بفترة وأنا أعاني الوحدة ، رغم أن لي أبناء ثلاثة ولكنهم بعد زواجهم وانفصالهم عنّي لا يزوروني إلا نادرا ، ولهم العذر فهم مشغولون بأعمالهم وأطفالهم وبيني وبينهم مسافات طويلة ، كان الله في عونهم ، مع أنني أتوق لرؤية أحفادي والأنس بهم إلاّ أن هذا لا يتحقق لي إلاّ في المناسبات ولذا نصحني زميل قديم بالانضمام إلى إحدى الجمعيات التي ترعى كبار السن ، وجل نشاطها ينحصر في تنظيم الرحلات .

راقتني الفكرة فيكفي أن أكون بين مجموعة من الناس وهناك من يتكفل بإعاشتنا طوال الرحلة ، وحتما هناك عوامل مشتركة بين الأعضاء تشكل مادة للحديث .

الجمعية إذن فكرة رائعة بكل المقاييس ، ولذا لم تفتني رحلة واحدة منذ انضمامي لعضويتها ، معظم الرحلات كررتها مرات عديدة ، فأنا مشارك في كل الرحلات مقدما ، حتى قبل أن أعرف وجهتها

فهذا إنقاذ لي من الوحدة القاسية ، فلا يدق جرس الهاتف في بيتي سوى مرة أو مرتين في اليوم ، حينما يسأل أحد أبنائي عنّي معتذرا عن عدم زيارته لي لظروف تحول دون حضوره ، أعذار وتبريرات مكررة لا تتغير حفظتها عن ظهر قلب ، ولذا أجد متعة في الاتصال بالجمعية فمادة الحديث دائما هي برنامج الرحلات ، ومن سيشارك من الأصدقاء ، و معرفة مدة الرحلة وموعدها ، ثم تسجيل اسمي ضمن المشاركين .

تتداعى الذكريات في تحد وإصرار على حرمانه من النوم فراح يقلبها ذات اليمين وذات اليسار ، يا سبحان الله كانت زوجتي رحمها الله لا تحب الرحلات ، ونادرا ما كانت ترافقني حاولت تشجيعها دون جدوى ، أما الآن فقد أصبحت حياتي سلسلة رحلات متتابعة .

بهتت الصور قليلا وانزاحت الذكريات فأسلم عينيه للنعاس .

على دقات المنبه استيقظ مبكرا وصلى الفجر ، وأعد كوب الشاي بالحليب المفضل عنده ، ثم غير ملابسه ، تناهى إلى سمعه صوت آلة تنبيه سيارة صديقه الذي يرافقه في الرحلة ، أسرع يجر حقيبته ببطء متجها نحو المصعد ، جلس بجوار صديقه في السيارة حتى وصلا إلى مكان تجمع الأعضاء ، بجوار الحافلة التي ستقل الرحلة وقف متكأ على عصاه وأمامه حقيبته ، تطوع مشرف الرحلة فحمل الحقيبة ووضعها في مكانها وهو يقول : الحمد لله بالسلامة يا أستاذ عبد الله ، رد التحية بابتسامة وإيماءة من رأسه .

توافد الأعضاء وكل منهم يحييه بحرارة ، كل رحلة وأنت طيب ، والله أجمل ما في الرحلة أن نراك ، وحشتنا يا عمنا ، نحب نسمع آخر نكتة من نكاتك الجميلة ، تعود سماع هذه العبارات وهو سعيد بها وبالصحبة ، وتزداد سعادته حينما يضحكون بشدة وهو يحكي نكاته التي اشتهر بها .

تحركت الحافلة ثم وقفت بعد فترة فنزل ركابها أمام استراحة على الطريق ، فأكلوا السندوتشات وشربوا الشاي بعدها ركبوا الحافلة وتابعوا رحلتهم .

أعلن مشرف الر حلة أن الباقي من المسافة مائة كيلو متر في جوف الصحراء أغمض الأستاذ عبد الله عينيه محاولا الاسترخاء ، بينما أحاديث الركاب وثرثرتهم تخترق أذنيه ، كلام معاد لا يتعدى هموم المرض المزمن ، وأسماء الأدوية المجربة ، وجحود الأبناء ، والشعور بالوحدة ، ثم التحسر على الماضي الجميل وأيام الشباب ، أغفى قليلا لكنه أفاق منزعجا على صوت

هياج وصياح ، تعطلت الحافلة ، حاول السائق جهده لإصلاح العطب دون جدوى ، نزل بعض الركاب لدفع الحافلة للأمام ، فلم تسعفهم قواهم ولم تستجب الحافلة ، قرر المشرف أن الحل الوحيد هو لاتصال بأحد مراكز إصلاح السيارات وطلب إرسال عامل فني لإصلاح العربة أو إرسال عربة بديلة ، وكانت الصدمة هي اكتشاف أن جميع الهواتف الجوالة خارج التغطية ،

ما العمل إذن ؟

وهم في قلب الصحراء ولا يملكون وسيلة اتصال بأحد كي يأتي لإنقاذهم ، ساد الخوف والقلق بين الأعضاء ، أبلغهم السائق أن الأمل الوحيد هو مرور سيارة عائدة إلى المدينة فيحملها رسالة للمسئولين للتصرف لإنقاذ الرحلة .

استسلم الجميع للأمر الواقع وجلسوا في أماكنهم داخل العربة ، مال عبد الله بمقعده إلى الخلف محاولا النوم ، عاودته الأفكار والذكريات ، هذه الرحلة رقم عشرة لنفس المكان ، وحينما تصل السيارة إلى مكان الرحلة أظل جالسا بداخلها أو في الاستراحة في انتظار عودة زملائي من مشاهدة المعالم الأثرية حيث لا استطيع السير في الرمال بين المرتفعات والمنخفضات لرؤية الآثار والمناظر الطبيعية التي نحتتها عوامل التعرية ، فعلت ذلك في الزيارة الأولى ، وفي الثانية عانيت كثيرا من الإرهاق أما المرات الثماني التالية فلم يعد في مقدوري أن أفعل ذلك وأنا أتوكأ على عصاي وأجرّ قدميّ جرا ، ومع ذلك أتحمل عناء السفر وتكلفته هربا من الوحدة القاسية .

خرجت من صدره آهة حزينة وهو يحدث نفسه ، آه ما أشقى من تموت رفيقة حياته وتتركه وحيدا في نهاية العمر يعاني قسوة الوحدة ومتاعب المرض . طال الانتظار ، الوقت يمر بطيئا ثقيلا ، بدأ القلق يزداد وظهر التذمر على الركاب ، وراحوا يتساءلون : ماذا لو ظلوا هكذا حتى حلول المساء فيخيم الظلام وتنعدم الرؤية ، وينفد ما معهم من ماء وغذاء وهو قليل ؟

وجه البعض عبارات اللوم والعتاب للسائق والمشرف لأنهما لم يتحسبا لمثل هذا الموقف ، ولم يحتاطا لمواجهة مثل هذا الظرف ، معرضين حياة الأعضاء للمخاطر والهلاك ، أقسم جميع من بالحافلة بأنهم لن يكرروا هذه الرحلة لذاك المكان النائي وأمثاله ، ما عدا الأستاذ عبد الله فبرغم قلقه واستيائه مما حدث فلم يثنه ذلك عن عزمه لمواصلة الرحلات إلى أي جهة كانت ، فكل ما يلاقيه من متاعب وصعوبات أهون كثيرا من قسوة الوحدة .

(3)

(العودة إلى القبر)

جلست أمينة حزينة شاردة
وهمٌّ ثقيل يجثم على صدرها لم تستطع له دفعا منذ أن رأت هذا الكابوس المخيف الذي تكرر مرارا، وفي كل مرة تصحو من نومها فزعة وهي تردد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اللهم أجعله خيرا لكنها .. لا تدري ما مغزى هذا الكابوس المرعب . ظلت جالسة في فراشها وانقباض شديد في صدرها نظرت حولها . ركزت بصرها على صورة زوجها المتوفى المعلقة على الحائط في مواجهتها تماما محاطة بشريط أسود ، قرأت الفاتحة على روحه ودعت له بالرحمة والمغفرة . هذا ما اعتادت أن تفعله كل يوم منذ أن أنتقل إلى العالم الأخر. إنها لا تنسى ذكراه أبدا ولا تكف عن الحديث عن مآثره وصفاته الحميدة .
ضجيج أحفادها خارج الحجرة أفاقها من ذكرياتها . نفضت عنها الغطاء وقامت لتفتح باب الحجرة . الأطفال يقبلون عليها ويصيحون ماما ستو، ماما ستو . تحتضنهم وتقبلهم .
ـ صباح الخير يا أحبائي .
ـ صباح النور يا ماما ستو، نريد أن نأكل ونشرب الشاي باللبن .
ـ انتظروا قليلا وسوف أحضر لكم ما تريدون .
أسرعت إلى المطبخ وأعدت لهم طعام الإفطار والشاي باللبن. و بدأت في ترتيب الحجرات وإعداد طعام الغداء وغسل الملابس وأواني المطبخ .
سعيدة هي بذلك رغم ما تبذله من جهد ، فمنذ وفاة زوجها أصر ابنها الوحيد قاسم على أن تترك منزلها لتعيش معه تحت رعايته ، ولم تعارض زوجته فهما بدورهما يحتاجان إليها لتربية أطفالهما وهما مطمئنان عليهم مع جدتهم ، لذا فهما يخرجان إلى عملهما صباحا ، وتقوم هي بدور ربة المنزل إلى أن يعودا آخر النهار .

تفاوض قاسم مع صاحب المنزل الذي كان أبواه يستأجرانه علي بيع أثاث ومحتويات المنزل إلاّ القليل الذي تمسكت به أمه وأحضرته معها ، وحين أراد إعطاءها النقود رفضت وتركتها له ليستعين بها على مطالب الحياة ومستلزمات أبنائه ، فهي لا تحتاج للنقود ما دامت تعيش في كنفه .
في المساء أوت إلى حجرتها ، وجلست على سريرها ، وأمسكت رأسها بيديها وراحت تتذكر الكابوس المخيف الذي أصابها بالرعب ، حتى أنها تخشى أن تنام خوفا من رؤيته مرة أخرى .
دخل الابن ونظر إلى والدته ، وشعر أنها حزينة قلقة ، ويبدو عليها الاكتئاب . فتقدم منها وجلس إلى جوارها متسائلا :
ـ ماذا بك يا أمي ؟ هل أغضبك أحد منا ؟
ـ لا يا بنيّ لكني رأيت كابوسا مخيفا يؤرقني .
ـ احكي لي يا أمي ما رأيت علنا نستطيع تفسيره .
ـ رأيت أنيّ ـ والعياذ بالله ـ داخل قبر مظلم ملفوفة بالأكفان والناس في الخارج يسدون القبر ويحكمون غلقه ، بعد أن دفنوني ، حاولت أن اصرخ إنني ما زلت على قيد الحياة ، إنا لم أمت ، لا تتركوني لكن صوتي كان مختنقا تحت الأكفان فلم يسمعني أحد ، بينما كنت أسمع وقع أقدامهم وهم ينصرفون ، فظللت اصرخ وأبكي حتى خمدت أنفاسي ، وصحوت من نومي وأنا انتفض خوفا ورعبا ، ولقد تكرر هذا الكابوس مرات عدة .
تضع يدها على جبهتها وتكمل : آآه ..لكم أخشي أن يتحول هذا الكابوس إلى واقع .
ـ لا تخافي يا أمي ، إن هي إلاّ أضغاث أحلام ، ربما تكون ناتجة عن قلق أو ربما تفكرين كثيرا في الموت حينما تتأملين صورة أبي .

ـ أرجوك يا ولدي لا تتعجل في دفني حين وفاتي ، ربما أكون في حالة غيبوبة ، لابد أن تتأكد من موتي قبل دفني في المقبرة .
ـ أطال الله عمرك يا أمي . لا تخافي من هذه الناحية ، أنصحك أن تستعيذي بالله من الشيطان ، وتفكري بأشياء جميلة قبل النوم .
تمضي الأيام والشهور والكابوس يتكرر بين فترة وأخرى ، في يوم من أيام الخريف عاد الابن من عمله ومعه زوجه ، وجد أمه ترقد في سريرها مريضة وحولها الأطفال صامتون ولا يعرفون ماذا يفعلون .
أسرع باستدعاء الطبيب الذي شخص المرض و وصف الدواء ، لكن حالتها لم تتحسن واستمرت صحتها في التدهور حتى لفظت أنفاسها الأخيرة .
حضر الأهل ، وبدأ الاستعداد لتشييع الجنازة ، هنا تذكر قاسم وصية أمه ، وأعلن أنه سيرجئ دفنها إلى الغد ، خشية أن تكون في غيبوبة ، سخر الجميع منه ، وأقبلت النساء الكبيرات السن يتحسسن جسدها وأنفاسها ، وأكدن أنها ماتت وشبعت موتا ، وأن تركها لليوم التالي قد يعرض الجسد للتحلل ، وعلق الرجال ، إن إكرام الميت دفنه ، وقد مرت ساعات منذ وفاتها فلو كانت على قيد الحياة لتحرك شيء فيها ، ولا بد من دفنها قبل غروب الشمس وحلول الظلام ، شيعت الجنازة وتم الدفن في المقبرة ، وتقبل الأهل العزاء .
في وسط الظلام الدامس والسكون التام عاودها الكابوس ، لكن في هذه المرة شعرت أن أنفاسها تتقطع وصوتها يختنق ، حاولت تحريك يديها ، وبصعوبة بالغة أزاحت الغطاء عن فمها قليلا ونادت على أحفادها ، فلم يرد أحد ، اجتهدت واستجمعت قواها وأزاحت الأغطية عن عينيها ، فلم تر شيئا ،
تحسست جسدها الملفوف وتحسست الفراش أسفلها ، فإذا بالغطاء كفن والفراش رمال ، خفق قلبها بعنف وانتفض جسدها بعصبية ، أدركت أن هذا ليس كابوسا كالسابق ، بل هو حقيقة واقعة ، هي الآن داخل القبر ، لقد ماتت ودفنت ، هذا ما كانت تخشاه وأوصت ابنها بألاّ يتسرع في دفنها .

أصابتها حالة من الرعب والهستريا ، فراحت تبكي وتصرخ وتستغيث ، لعل أحدا يسمعها ويأتي لينقذها ، ظلت تمزق الأكفان المحيطة بها .
بعد مضي ساعات لا تدري عددها سمعت طرقات على باب المقبرة فتجمدت أطرافها وظنت أن هناك من سمعها وأتى ليخلصها ، أرهفت السمع وإذا من بالخارج يخلعون باب المقبرة ويزيلون الأحجار ، وفهمت من حديثهم أنهم لصوص المقابر ، وأنهم كانوا يراقبون المدافن لسرقة الجثث التي دفنت حديثا وبيعها لطلبة كليات الطب لكي يجروا عليها أبحاثهم .
عندما خلع باب المقبرة ، بدأ بصيص من الضوء ينتشر في الدخل ، رأى اللصوص امرأة ترتدي نصف كفن وهي تصرخ في فزع فانطلقوا هاربين وهم يصيحون عفريت ، عفريت .
غطت جسدها ما أمكن بالكفن الممزق ثم حاولت أن تصعد إلي الباب ونظرت حولها ، الفجر نشر خيوطه الأولى ، وأخذت الرؤية تتضح شيئا فشيئا ، شاهدت قرب الباب بعض الملابس والأحذية الرجالي ، كان اللصوص قد تخففوا من ملابسهم الخارجية وأحذيتهم حتى لا تعوقهم أثناء فتح المقبرة ثم تركوها عند فرارهم .
تسلقت الباب وبعد جهد وإرهاق شديدين خرجت من القبر ، ارتدت جلبابا وانتعلت حذاء وغطت رأسها بقطعة من قماش الكفن ومشت حتى وصلت إلى أطراف المدافن .
وقفت حائرة لا تعرف إلى أين تذهب ؟ وكيف تواجه الناس بهذه الهيئة ؟ إنها امرأة في زيّ رجل ، سوف يعتقد من يراها أنها مجنونة ، فمن يتصور ما حدث لها أو يصدق حكايتها . على إحدى المصاطب القريبة جلست تفكر، ماذا تفعل الآن ؟
إنها تتذكر عنوان البيت جيدا ، ولكن كيف تصل إليه ؟
ليس معها نقود كي تستقل إحدى عربات الأجرة ، وضعت يدها على خدها وهي تهمس لنفسها : لا بد أن ابني حزين على موتي وكذلك أحفادي ،

أظنهم لا يكفون عن البكاء ، ولعلهم يشتاقون لسماع قصصي وحكاياتي ، حتى زوجة ابني لابد أنها حزينة أيضا على موتي ، فقد كانت علاقتي بها طيبة ، وكان وجودي بالبيت يجنبها الكثير من المتاعب ويخفف عنها الكثير من الأعباء .
شعرت بعضة جوع في معدتها ، أمسكت بطنها بيدها ورأسها بيدها الأخرى ارتفعت الشمس في الأفق ، وبدأ نهار جديد ، غفت عيناها قليلا ، وانتبهت على وقع حركة قريبة منها ، رأت بجوارها بعض حبات التمر وقرص الرحمة وبدأ الناس يتوافدون .
كانت جائعة جدا ولكن ليس لديها رغبة في الطعام ، غير أنها ابتلعت لقيمات صغيرة .
تسيطر عليها حالة من الضياع ماذا تفعل ؟ لا تدري ، كيف تعود إلى بيتها ؟ لا تدري . قامت ووقفت على حافة الطريق ، لم تحاول التحدث مع أحد حتى لا تلفت أنظار الناس إلى مظهرها الغريب .
خرج أهالي المتوفين من المقابر بعد دفن موتاهم أو زيارتهم ، فتقدم أحدهم منها ودفع إليها بورقة نقدية فئة العشرة جنيهات وهو يردد صدقة ونور على روح أمي ، أطبقت كفها على الورقة وتجدد الأمل في نفسها وتمتمت الحمد لله الآن يمكنني أن أعود إلى بيتي .
أشارت إلى إحدى عربات الأجرة وركبت ، ذكرت العنوان للسائق وأعطته ما معها من نقود ، نظر إليها باستغراب وهز رأسه ثم انطلق بسيارته حتى وصل إلي العنوان وأنزلها أمام إحدى البنايات وانصرف .
وقفت تتنفس الصعداء وتردد الحمد لله أنني استطعت الوصول إلى بيتي ، أنا الآن في أمان . انتهت الأزمة .
صعدت السلم وهي تتساءل ترى كيف سيكون استقبال ابني وزوجه وأطفاله لي ؟ ثم تجيب : بالتأكيد سوف يسعدون بعودتي إليهم وسوف يتبدل حزنهم فرحا عندما يكتشفون أنني لم أمت .

آه لكم أشتاق إليهم ! ولكن سوف أعاتب ابني على تسرعه في دفني رغم تحذيري له ، سامحه الله ، ثم تعود و تلتمس له العذر، لعله انتظر كثيرا ولكن غيبوبتي طالت ، لا لا هذا ليس عذرا كان بإمكانه أن يحضر طبيبا ليتأكد هل الحالة وفاة أم غيبوبة . وتستمر هواجسها ، ومن يدري ربما أحضر الطبيب ولكنه أخطأ ، كل هذا لا يهم ، المهم أنني عدت إليهم وسوف يفرحون بعودتي ، حتما ستكون مفاجأة سعيدة ، ها قد وصلت إلى شقتنا .

وضعت يدها على جرس الباب وظلت تضغط عليه بشدة ، صوت الأطفال وأمهم في الداخل يتسرب إلى أذنيها ، أنتظر أيها الطارق . كاد الجرس يحترق . يفتح الباب ، تنظر الزوجة وتصيح في رعب عفريت عفريت ثم تغلق الباب في عصبية والأطفال يصيحون خلفها عفريت عفريت .

ظلت واقفة ويدها لا تكف عن الضغط على زر الجرس والطرق على الباب وهي تردد أنا أمينة أنا لست عفريتا أنا ماما ستو ، افتحوا الباب ، ولكن .. الباب لا يفتح ولا أحد يستجيب لندائها .

نزلت إلى الشارع وجلست تنتظر ابنها ، هو المنقذ الوحيد لها مما تعانيه . ما أن رأته قادما حتى انطلقت تجري نحوه وهي تصيح ، أنا أمك يا قاسم ، أنا رجعت يا حبيبي ، أنا لم أمت ، حاولت أن تحتضنه لكنه نظر إليها في ريبة وجرى بعيدا وهو يرتجف ويصيح عفريت ، عفريت ، وصعد إلى شقته مسرعا وأغلق الباب ، صعدت خلفه وظلت تطرق الباب وتضغط على زر الجرس وتنادي بأعلى صوتها ، افتح يا قاسم أنا أمك أمينة ، أنا لم أمت لقد دفنتموني حية ، أفتح يا بنيّ ، لكن الباب لا يفتح .

عادت إلى الشارع وانخرطت في بكاء شديد .

حكت زوجة قاسم له ، أن شخصا جاء وطرق الباب بعنف وعندما فتحت وجدت رجلا له ملامح أمه المرحومة ، ففهمت أنه عفريت يتشبه بها فأغلقت الباب وظلت خائفة هي وأبنائها ، أكد زوجها على كلامها بأنه قابل نفس الشخص ، رجلا له ملامح تشبه أمه ، وقد اعترض طريقه ولكنه

هرب منه ، غير أنه ظل يطارده حتى باب الشقة والطرق على الباب، فعلقت الزوجة : أخشى أن يحاول العفريت اعتراض طريق أبنائي وإيذائهم عند خروجهم .
وقفت أمينة في الشارع حائرة لا تعرف إلى أين تذهب ، وكل من يراها بهذا المنظر الغريب يرتاب في أمرها ، بعد قليل مرت جنازة من أمامها وخلفها حشد من المشيعين في طريقهم إلى المقابر فسارت معهم .
بجوار مقبرتها جلست تنظر حولها ، رأت خفير المقابر الذي تعرفه حينما كانت تأتي لزيارة قبر زوجها وتوزيع الرحمة ، نادت عليه ، فأقبل ونظر إليها في استغراب ، قبل أن ينطق بادرته بقولها : لا تخف أنا لست عفريتا ، علق الرجل ما عفريت إلاّ بني أدم ، أنا لا أخاف من شيء فوجودي في المقابر أراني العجائب ، لكنني أشعر أنني أعرفك ، صوتك وملامحك ليست غريبة عني .
ـ أنا أمينة زوجة المرحوم عبود النادي .
ـ وما الذي فعل بك هذا ولماذا ترتدين ملابس الرجال ؟
حكت أمينة للخفير كل شي ، بداية من الكابوس حتى جلوسها أمام المقبرة ورؤيتها له .
ضرب الرجل كفا بكف وهو يقول : يا للعجب والله حكاية أغرب من الخيال ! ثم قام وعاين المقبرة وشاهد الملابس والأحذية الرجالي و الباب المخلوع والأحجار المحطمة ، ونظر إلى الداخل فلم ير الجثة التي دفنت بالأمس ولا يوجد سوى الكفن الممزق .
كل هذا يؤكد صدق حديثها ، لكن أمينة أرادت أن تزيده يقينا ، حتى لا يكون في نفسه أدنى شك منها ، فذكرته بأخر زيارة لها للمدافن وكم أعطته من نقود حين طلبت منه طلاء المقبرة ووضع الزهور والنباتات فوق قبر زوجها ،
تأكد الخفير من صدق حديثها فأمسك بيدها وأدخلها إحدى الاستراحات،

وأحضر لها ثوبا نسائيا وغطاء للرأس وتركها تستريح على أن يعود إليها بعد أن عرف منها عنوان ابنها وموعد عودته من العمل ، فذهب إليه وطرق الباب
عندما فتح قاسم الباب نظر إليه مستغربا، فلم يسبق له زيارتهم من قبل .
ـ أهلا يا حاج ، خير إن شاء الله !
ـ اسمعني جيدا، لقد جئتك في أمر هام . ثم بدأ يقص عليه ما سمعه من أمه ودعاه للذهاب معه لمقابلتها .
أكد قاسم أن أمه ماتت ودفنت وتقبل عزاءها ، فكيف يصدق أنها عادت للحياة مرة أخرى ! لابد أن ما رأيته عفريتا يتشبه بها . رد الخفير بلغة الواثق أمك لم تمت ، فقط كانت في غيبوبة طويلة ، وأنت تسرعت في دفنها وعليك الآن أن تأتي معي لتتأكد بنفسك ، وهي التي أعطتني عنوانك ، وحكت لي عن الكابوس الذي كان يطاردها في منامها .
ذهب الابن مع الخفير ، وعاين بنفسه المقبرة ، وشاهد الكفن الممزق وملابس اللصوص وأحذيتهم ، وتذكر وصية أمه فبدا عليه الاقتناع .
أمسك الخفير بيده وقاده إلى الاستراحة ، فإذا أمه منكفئة على وجهها تبكي بحرقة وتتأوه ، تذكرت ما تعرضت له ، وجودها في المقبرة واستقبال ابنها ونظرات الناس لها وسخريتهم منها ، ثم بقاءها الآن وحيدة بين المقابر انتابتها حالة من الهستريا فظلت تصرخ وتبكي حتى خفت صوتها وبدا عليها الإعياء الشديد . انحنى قاسم يقبل يديها وهو يبكي ندما وحزنا متوسلا إليها أن تسامحه على تسرعه في دفنها ، ثم اندفع مسرعا لإحضار الطبيب .
قام الطبيب بالكشف عليها ثم جمع أدواته وعلق بجملة واحدة . البقاء لله .
ثار قاسم في وجه الطبيب لا لا إنها حالة غيبوبة ، أرجوك عاود الكشف وتأكد جيدا ، أذعن الطبيب للأمر وعاود الكشف مؤكدا أنها توفيت لا محالة نتيجة لصدمة عصبية شديدة ، بينما قاسم في ذهول لا يكاد يصدق ما حدث.
ربت الخفير على كتفه قائلا : علينا الآن إتمام إجراءات الغسل والصلاة ، لكي تعود أمك إلى القبر .

ضاربة الودع

امرأة في منتصف العمر ، قمحية اللون ، ترتدي جلبابا فضفاضا وشالا صغيرا وتضع على رأسها قبعة من القماش تقيها من أشعة الشمس ، تجوب شاطئ البحر ذهابا وإيابا وهي تحمل في يدها مجموعة من المحار الصغير تسميه ودعا وتردد بلكنة خاصة : أضرب الودع ، أبين زين .
يتداخل صوتها مع ضجيج المصطافين الذين يتزاحمون على الشاطئ ، بعضهم يسبح في الماء وبعضهم يتجول على الرمال وآخرون يجلسون تحت الشماسي يستروحون نسيم البحر البارد أو يقرؤون الصحف والكتب بينما يعلو صخب الموج وضحكات الأطفال وهم يلعبون ويجرون .
لا أحد يعبأ بمرورها ، فقد اعتادوا رؤيتها في وسط النهار ، ونادرا ما يدعوها أحدهم لقراءة طالعه .
وحدها نهال التي انشغلت بالتفكير في هذه المرأة التي تمتهن هذه المهنة الغريبة ، ترى هل تبطل السحر حقا ؟ هل تتنبأ بأشياء أم تقرأ النجوم ؟ أتراها صادقة أم كاذبة ؟ !!
يدفعها الفضول أن تشير إليها فتقبل المرأة وتجلس أمامها على الرمال .
تبادرها نهال : ما اسمك يا حاجة ؟
ـ رمزية يا ست الكل .
ـ هل تعرفين البخت وقراءة الطالع ؟
ـ إن شاء الله .
ـ أريد أن أعرف بختي .
دفعت إليها إحدى المحارات قائلة : وشوشي الودع .
ـ ماذا أقول له ؟
ـ قولي له ما يشغلك وما تريدين معرفته .
أمسكت نهال بالمحارة وتذكرت أن أهم ما يشغلها هو ابنها الأكبر ، هذا الشاب الذكي الذي كان متفوقا طوال سنوات دراسته وحصل على أرقى الشهادات ولكنه غير موفق في عمله وكلما بدأ عملا تعثر فيه وتركه وتوقف فترة ثم يبدأ عملا جديدا ويتكرر ما سبق ، وأصبحت حياته غير مستقرة ، وأحواله المالية متعثرة وهو مكلف بإعالة أسرة مما يشكل ضغطا نفسيا عليه وعليها .

ـ ١ ـ

بصوت لا يكاد يسمع همست نهال للودعة : أريد أن أعرف إذا كان ابني مسحورا أو محسودا ؟ وهل يوجد حل لمشكلته ؟ يا ربّ يا عالم

الغيوب اكشف المحجوب ، ثم أعطت الودعة للعرافة التي سألتها عن اسم أمها فأجابتها نهال : حمدية
ـ أرمي بياضك
من حقيبتها أخرجت نهال ورقة فئة الخمسة جنيهات وألقتها أمامها . على الرمال راحت المرأة تلقي بالودع ثم تجمعه وتلقيه مرة أخرى وهي تشير إلى كل واحدة وتفسر طبقا لوضع المحار ، إذا كان مفردا أو مجمعا ، معدولا أو مقلوبا ، فكل وضع له تفسير .
ظلت تجمع الودع وتلقيه وهي تقول : محسودة من كل معارفك ،يقولون عندها المال وأنت عندك الستر ، فيه رجل واقف إلى جوارك يقدرك ويحرص عليك صح أم لا ؟
ـ صح إنه زوجي ربنا يحفظه .
ـ عندك ولد معمول له سحر سفلي يؤثر على حياته وكلما يخطو خطوة إلى الأمام يعود إلى الخلف ، لابد من فك السحر ، إذا أردت سأقوم بذلك ولكن بسعر خاص .
ـ وكيف أعرف أن السحر تم محوه وأبطل مفعوله ؟
ـ سوف أحضره لتشاهدينه بنفسك ، فقط عليك إحضار ورقة بيضاء وضعيها في يدك وأغلقي عليها كفك وستجدين السحر مكتوبا على الورقة وعندما تقرئينه يبطل عمله .
كانت نهال متشككة فيما تقوله العرافة لذا أرجأت عملية إبطال السحر قائلة : فيما بعد سوف أفكر في الموضوع .
عادت نهال إلى المنزل وهي تفكر في الأمر، هل تستطيع العرافة فك السحر وتخليص ابنها من شره ؟ ذلك السحر الذي يعرقل مسيرة عمله ويربك حياته كلها .
ظلت تفكر في الأمر مليا وهي بين إقدام وإحجام ، هل يعقل أن أصدق ما تقوله هذه المرأة ! كيف لمثقفة مثلي أن تفعل ذلك ! أنسيت أنني أديبة وشاعرة أحارب الخرافات وأدعو إلى الفكر المستنير !
\

كان الأمر مجرد فضول دفعني لأن أتعرف على فكر هؤلاء الناس ونظرتهم للحياة ، وربما فكرت أن أكتب عنها قصة ، هذا كل ما في الأمر .
ثم تراجع نفسها قائلة : ولكن السحر حق جاء ذكره في الكتب السماوية ، وهي قد عرفت مشكلة ابني دون أن أذكر لها شيئا عن ذلك ، من يدري ربما يكون قولها صحيحا فلماذا لا نجرب فك السحر ربما تحل مشكلة ابني ؟
لن نخسر شيئا سوى مبلغ صغير من المال .
قررت نهال مقابلة العرافة لكي تبطل السحر الأسود الخاص بابنها ـ بالرغم من عدم اقتناعها التام ـ وأقنعت نفسها بأنها مجرد محاولة ـ قد تصيب وقد تخيب ـ فالغريق يتعلق بقشة كما يقول المثل السائر ، وقد يسبب الله الأسباب ، من يدرى ربما تكون العرافة سببا أرسله الله لحل المشكلة .
في اليوم التالي جلست نهال على الشاطئ في انتظار ضاربة الودع وإذ بها تراها تمر من أمامها فدعتها كي تقرأ لها الطالع .
ويبدو أن العرافة نسيت إنها تعرفت على نهال من قبل، فقلبت محارتها ، وقرأت لها البخت وقالت : كلاما يختلف تماما عن السابق ، كلاما عاديا ينطبق على عامة الناس ولم تشر إلى مشكلة الابن الأكبر ، مما دعا نهال أن تسألها وماذا عن أبنائي الذكور ؟
ـ عندك ولد دماغه ناشفة .
ـ كلهم دماغهم ناشفة .
ـ عندك فرحة وبشرى سارة بعد شهر تقريبا .
ثم جمعت محاراتها ومضت في طريقها بينما استغرقت نهال في تفكير عميق وراحت تتساءل : لماذا تغير حديث المرأة مع أن الحال كما هو لم يتغير ؟ ولماذا لم تشر إلى مشكلة ابني رغم أنني وشوشت الودع مثل المرة السابقة ؟
آه ..يبدو أن الأمر مجرد صدفة ولم يكن معرفة كما تدّعي العرافة .
صحيح كذب المنجمون ولو صدفوا ، ولو صدقوا .

الطاغية المتسول

في حديقة منزله الريفي الأنيق جلس ، راح يفكر ويعود بذاكرته للوراء، ثماني سنوات مرت حافلة بالأحداث الجسام ، منذ أن اعتلي سدة الحكم إلى أن تركه . الآن عليه أن يكتب مذكراته ، ويسجل انجازاته ، ويؤرخ لفترة حكمه كما فعل رؤساء بلاده السابقون . تطايرت الأوراق من أمامه بفعل الهواء ، جمعها واتجه إلى الداخل . في حجرة مكتبه وقف يتأمل ـ آه ما أبعد الفارق بين مكتبه الآن ومكتبه السابق! تذكر ذلك اليوم الذي صعد فيه الدرج الأبيض ليدخل المقر الرئاسي رئيسا منتخبا لأقوى دولة في العالم ، وجلس على مكتبه البيضاوي الفاخر ، ساعتها شعر بأنه امتلك العلم كله ، يستطيع أن يحكم فيه كما يشاء ، تقمصته روح غريبة كأن قوى خفية تسيطر عليه وتوهمه أنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ البشرية المعذبة ، ولم لا ؟ إن حال العالم لا يعجبه ، لابد من رسم خريطة جديدة للعالم وتقسيم شعوبه إلى دويلات صغيرة ثم تصنيفهم طبقا لما يراه ، بل لابد من إعادة توزيع الثروات بحيث تصل إلى الكبراء المتحضرين وسحبها من أصحابها المتخلفين الذين لا يستحقونها ، إنه يعتقد أن هذه الثروات وصلت إليهم بطريق الخطأ ، نعم إن من حقه التصرف في العالم كما يريد .

اجتمع برجاله و مستشاريه و بعض الخبراء والمتخصصين في السلاح النووي وسألهم ،

ـ هل تستطيع أمريكا بقوتها محاربة العالم كله ؟

أجاب الخبير الأول في ثقة .

ـ أمريكا لديها من السلاح العادي والنووي والقنابل الذرية ما يمكنها من تدمير الكرة الأرضية بما عليها مئات المرات .

ابتسم الرئيس ابتسامة سعادة وفخر بهذا التفوق ، بينما تشجع بعض المستشارين وسأل عن الحكمة في الاستمرار في تصنيع السلاح النووي الباهظ التكاليف مع أننا لا نحتاج إلاّ لتدمير الأرض مرة واحدة ؟ نظر الرئيس بغضب وحنق لهذا الجاهل الذي لم يعمل حسابا لزيادة السكان مستقبلا ، والذي سوف يتطلب قتلهم المزيد من السلاح ، لذا أمر برفت هذا المستشار فورا من منصبه .

سرح بفكره قليلا ، ومال بمقعده إلى الوراء وهو يحدث نفسه ، أليس من صفات الإله أنه يحيي ويميت ؟ أنا أيضا أحيي وأميت ، استطيع قتل الملايين من شعوب العالم ، واستطيع أن اتركهم يعيشون كرما وتفضلا مني إذا أذعنوا وخضعوا لما أريد ، ورضوا بالعبودية .

يفاجئه أحد مستشاريه متسائلا :

ـ ماذا سنفعل لفرض سلطاننا وسلطتنا على العالم ؟ وحمل الثروات المتناثرة في زوايا الكون إلى بلادنا ؟

يجيبه بغرور وصلف .

ـ سنتحين الفرص لكي نعلن الحرب على من يعارضنا أو يقف في طريقنا . لن تعوزنا الوسائل ، لننتظر أي خطأ يبدر من معارضينا ـ وما أكثر أخطائهم ـ حتى ننقض عليهم ونحقق مآربنا .

ينظر الجميع إلى بعضهم في دهشة ، فيتساءل المستشار الثاني :

ـ وكيف نواجه العالم والأمم المتحدة ؟ وبم نبرر أفعالنا ؟

يضحك الرئيس ساخرا من السؤال الذي ينم عن جهل بسياسة أمريكا .

ـ ها ها ها الولايات المتحدة هي الأمم المتحدة ، وأمامنا وسيلتان للسيطرة على شعوب العالم هما الترغيب والترهيب ، فمن لا ينصاع بالمعونات والمساعدات ينصاع بالتهديد والوعيد ، ثم لا تنسى حق الفيتو الذي نستطيع من خلاله وقف كل قرارات الأمم المتحدة التي لا تعجبنا .

ينتبه أقل المستشارين تهورا ويبدي قلقه من احتمال تشويه صورة أمريكا العظمى وما يتوقع من كراهية شعوب العالم لها .
ينظر الرئيس إليه شزرا ثم يجيبه في استخفاف : لا تقلق سوف ندعو بعض أصدقائنا من الدول الكبرى للانضمام إلينا ونقود تحالفا دوليا ونحاول أن ننتزع قرارا من مجلس الأمن إن أمكن يؤكد شرعية ما نقوم به ، وأيضا سنستخدم شعارات براقة توحي بأننا المنقذون الحاملون للواء الحرية ، من أجل رخاء الشعوب وسعادتها ، كما أن من أهداف الحرب على العراق ـ مثلا ـ الإمساك بيأجوج ومأجوج وقتلهما ، إنني على ثقة بأنهما يختفيان في بابل القديمة بأرض العراق ، ينظر الجميع إليه في دهشة .
يفيق من ذكرياته على مرأى كومة من الكتب والصحف وضعت على جانب من المكتب ، تصدمه العناوين التي طالما قرأها وتجاهلها ، وبجوارها صور مأساوية ، يتفحص العناوين من جديد (تعذيب بشع في سجن أبو غريب) (القوات الأمريكية ترتكب المذابح في العراق) (سرقة القصور والمتاحف العراقية) (اغتيال العلماء العراقيين) يلقي بالصحيفة بعيدا وينظر في غيرها ، تفاجئه عناوين أخرى صادمة (أمريكا ترتكب جرائم ضد الإنسانية) (القوات الأمريكية تستخدم أسلحة محرمة دوليا) (فظائع في معتقل جوانتانمو) (نهب البترول العراقي) (قتل المدنيين) (أغبى رؤساء أمريكا يقود العالم للدمار) (يجب محاكمة بوش كمجرم حرب) (صفعة حذاء على وجه بوش) استبد به الغضب وهو يرى صورته بجوار التعليقات في أوضاع ساخرة ومهينة ، يحدث نفسه .
أكثر ما يغيظني في شعوب الشرق الأوسط المتخلف ، أنهم مغرورون ويتفاخرون بأنهم أصحاب حضارات وتاريخ قديم ، وأن رسالات السماء قد نزلت بأرضهم ، هذا في اعتقادي لا يعني شيئا ولا يساوي شيئا ، ما يهمني أن اخضع العالم لرغبتي وسلطاني ، لابد أن يتحول

العالم كله إلى أمريكا عظمى والقضاء على خصوصيات الشعوب وحضاراتها السابقة ، كي تسود حضارة أمريكا الحديثة .

رنين الهاتف يوقظه من هواجسه ، يتذكر أنه لم يعد رئيسا ، وأنه قضى فترتي رئاسته دون أن يحقق حلمه ، فكل ما نجح فيه هو قتل مئات الألاف من الأبرياء وهدم المدن وتدمير المنشئات لا غير .

يرفع سماعة الهاتف ، يخبره المتحدث أن تذكرة السفر لبلاد النفط جاهزة ، يبتسم في بلادة وصلف ، سوف أذهب لجمع الهدايا والأموال ما أمكن ، إن أسوأ ما في القانون الأمريكي أنه يحرّم على رئيس الدولة أخذ الهدايا فكل ما يقدم له يسلمه إلى إدارة البيت الأبيض مقر الحكم ، وليس ملكا شخصيا له ، ولا يحق له الاحتفاظ به ، بل يتركه خلفه حينما يترك منصب الرئيس .

شرد قليلا ثم وقف ودق بيده على سطح المكتب قائلا : عليّ الآن أن أعوض ما تركته خلفي من هدايا وعطايا ما أمكن ، ثم حمل حقيبة سفره واتجه إلى المطار .

استقبلته إحدى الدول الخليجية وأظهرت له الحفاوة وقدمت له الهدايا الثمينة ، لكنه فاجئهم بطلب غريب ، هو ضرورة إيجاد وظيفة تناسبه في إحدى شركات النفط ، نظر مستقبلوه إلى بعضهم في ذهول غير مصدقين ، لكنه عاد و كرر الطلب في استجداء وتوسل مؤكدا جدية طلبه في قبوله موظفا بإحدى شركات البترول الكبرى

فما كان من المسئولين سوى أن وعدوه بدراسة الأمر .

.....

بائع البطاطا

على ناصية الشارع يقف أمام عربته الخشبية ، التي وضع فوقها فرنا صغيرا وكمية من قرون البطاطا الحلوة وكومة من الجرائد القديمة ، اعتاد الناس أن يروه في هذا المكان الذي لا يغيره أبدا وكأنه معلم من معالم الشارع .

يصحو مبكرا ويخرج من حجرته التي يستأجرها من بين حجرات بيت قديم يقع في حارة ضيقة قريبة من الشارع ، يشاهده الجيران كل صباح وهو يدفع العربة أمامه بيديه حتى يصل إلى ناصية الشارع الرئيسي .

رائحة البطاطا المشوية تجذب إليها المارة الذين يقبلون على شرائها وتناولها . أطفال الحي يتحلقون حول العربة وهم ينادونه : البطاطا يا عم نعيم . بوجه بشوش يقوم بسحب البطاطا المشوية من الفرن وتقطيعها وتوزيعها عليهم دون أن يطلب ثمنا لها .

لديه ضعف شديد أمام الأطفال وخاصة الفقراء منهم وهو يعلم أن أطفال الحي جميعا فقراء ، لا يحصلون على مصروف يومي من والديهم ، لذا يعطيهم البطاطا دون مقابل وهو سعيد ، هم أيضا عرفوا عنه ذلك ، عربة البطاطا هي كل ما يملكه نعيم من حطام الدنيا . فهو نموذج للفقر والبؤس ، ولد يتيما وربته أمه الفقيرة المريضة وبعد وفاتها تشرد في الدنيا وقاسى الحرمان في طفولته حيث لا يوجد من يهتم به .

حاول أن يبحث عن عمل وهو طفل صغير عند بعض أصحاب الحرف ، كانوا يكلفونه بما يفوق احتماله ، ويعاملونه بقسوة لعلمهم أنه وحيد ليس له أحد يكفله أو يحميه ، فكان يهرب من العمل وأحيانا يقضي يومه دون طعام يذكر ذات يوم أنه ذهب إلى السوق الأسبوعي وكان جائعا وقف مادا يده طلبا للإحسان ، تجاهله الناس ولم يعطوه شيئا ، لا يدري لماذا أسموه نعيم وهو رمز للشقاء !

مشى قليلا ثم توقف بالقرب من عربة تبيع البطاطا المشوية ، رائحة الشواء تملأ أنفه وتزيد شعوره بالجوع ، وقف يراقب البائع وهو يلف البطاطا الحلوة الساخنة في ورق الجرائد ويعطيها للمشترين . مد يده للبائع طالبا قطعة من البطاطا فنهره بشدة . لم يستطع مقاومة الجوع خطف قرن البطاطا وجرى بعيدا وراح يلتهمه بلهفة لكن البائع جرى خلفه حتى أمسك به وسلمه لحرس السوق . آه يا لهول ما حدث في ذلك اليوم الكئيب الذي لن يمحى من ذاكرته أبدا ! عومل كأنه لص محترف سرق خزينة مجوهرات وليس صبيا جائعا خطف قطعة بطاطا . إذ أحضروا حمارا أسود أجرب وأركبوه فوقه بحيث يكون وجهه لذيل الحمار وطافوا به حول السوق وخلفه جمع من الرعاع والسوقة يصفقون ويصيحون : حرامي البطاطا ... ثم أنزلوه من فوق الحمار وتباروا في شتمه وصفعه وركله . لم يخلصه من أيديهم سوى سيدة طيبة ، كانت تمر مصادفة بسيارتها ، أزعجها منظره الضعيف وصوت بكائه وصراخه أوقفت السيارة ونزلت . أمسكت به وراحت تصد عنه الضربات حتى خلصته من أيديهم بصعوبة بالغة بعد أن كادوا يفتكون به .

اصطحبته إلى السيارة وأجلسته بجوارها وسألته عما أوصله لهذا الحال ، فحكا لها كل ظروفه وهو يبكي ،عرفت أنه يتيم ليس له أهل ولا أقارب . أخرجت من حقيبتها بعض الشطائر وأعطتها له . التهمها في نهم ، ثم اصطحبته معها إلى بلدتها وحينما وصلت أمسكت بيده واتجهت إلى عربة تبيع البطاطا أتضح أنها تعرف صاحبها جيدا ، وسألته : ألم تكن تبحث عن صبي يعاونك في عملك بعد أن أصيبت قدمك ولم تعد تقوى على الوقوف ؟ أجاب الرجل : أجل يا سيدتي ، إنني أريد عاملا يعاونني ويفضّل أن يكون صغير السن حتى أعلمه الصنعة وإن كانت سهلة و بسيطة .

قدمتني السيدة قائلة : هذا الصبي فقير وطيب ، سوف يساعدك ، وأنا ضامنة له ، أرجوك أن تكرم مثواه عسى أن ينفعك أو تتخذه ولدا ،

ـ سوف أعتبره ابني ، فأنا وحيد في الدنيا ، ماتت زوجتي ولم أنجب أبناء ، اطمئني رزقي ورزقه على الله .
انصرفت السيدة بعد أن أعطت نعيما بعض النقود ووعدته بالسؤال عنه .
منذ ذلك اليوم وهو لا يعرف له أهلا سوى هذا الرجل الطيب الصالح الذي اتخذه ابنا له وإن لم ينجبه . مضت السنون وكبر نعيم وتوفي الرجل وأصبحت العربة ملكا لنعيم .
ذات صباح تجمهر الأطفال حوله ، فراح يوزع عليهم قرون البطاطا الساخنة مجانا كعادته حتى نفدت كلها ولم يتبقى له شيئا يبيعه . لم يحزن بل ابتسم وهو يسترجع ذكرياته ويتعجب ! كيف اختار له القدر عربة البطاطا ! وأصبحت مهنته ، بعد أن ضرب وأهين لأنه أخذ قطعة منها دون أن يدفع ثمنها ، ولم يرفق صاحبها بطفل فقير جائع ، والآن هو يمتلك أكواما من البطاطا المشوية الساخنة ، لذا قرر منذ أن أصبح صاحب العربة أن يعطي البطاطا المشوية للسائل والمحروم ، ولكل طفل فقير دون مقابل وما أكثر الأطفال الفقراء في الحي الذي يسكنه ! إنه يرى فيهم طفولته ، ويشعر أنهم وأبناؤه وأحباؤه ، وأصبح عم نعيم حبيب الأطفال الفقراء .

.....

- ٣ -

توت وتمساح النيل
(قصة فرعونية)

صحا من نومه فزعا ، أسرع إلى حجرة صغيره ، بلع ريقه بعد أن وجده نائما في فراشه الوثير كالملاك الصغير .

وقف في شرفته المطلة على النهر . اعتاد أن ينظر إليه صباحا ومساء فتبتهج نفسه ، لكنه الآن ينظر إليه خائفا مرتابا ، بعد هذا الكابوس المرعب الذي أرّقه وسلب النوم من عينيه ، أيمكن أن يكون النهر مصدر شقائه وتعاسته ! أيسلبه أعز ما يملك ؟! بعد اليوم يا حور محب لن تنزل النهر بصحبة صغيرك ، ولن تدعه يسبح به أو حتى يلعب ويلهو قرب شاطئه مرة أخرى ،
سأذهب إلى المعبد لأطلب من الكهنة الصلاة للآلهة من أجل إنقاذ طفلي ، وسأقصد عرافة منف وأقص عليها هذا الكابوس لتفسره لي ، وترشدني ماذا أفعل ؟ .
في مكان موحش مهجور تتوسطه حجرة أشبه بكهف مظلم ، يجلس أمام عرافة عجوز أمامها موقد ناره موقدة ، تلقى أليه البخور بيدها المرتعشة فيتصاعد الدخان وتتكاثف رائحة البخور وتملأ الحجرة . يقص عليها والحزن والخوف يغلفان صوته : رأيت في منامي تمساحا يخرج من النهر ويلتهم طفلي الوحيد ثم يغوص في الماء ، كنت أسمع وأرى لكني لم استطع أن أدركه وأنقذ طفلي .
بصوت واهن مرتعش كأنه قادم من واد سحيق أجابت العرافة : خذ هذه التميمة وعلقها في عنق الصغير ، واجعل بينه وبين النهر حجابا سميكا ، أو سدا عاليا ، لا تجعله ينزل إلى النهر أو يسبح بمائه .
ـ هل هذا يحمي طفلي من ذلك المصير المفجع ؟
ـ ما كان مقدرا سيكون ، والأقدار لا ترد .
عاد حور إلى بيته ينظر إلى النهر متوجسا وهو يخاطب نفسه يا لها من ساحرة ماكرة ! لم تعطني ردا قاطعا تطمئن به نفسي .
لكن لا بأس ، سأجعل بين ولدي والنهر حجابا سميكا كما تقول هذه الماكرة ، وسأبتني سورا حول حديقة المنزل يفصلها عن النهر . لن أدع طفلي توت يسبح في النهر أو يقترب من شاطئه .
التفت إلى الخلف . شاهد زوجه ميريت تهبط الدرج إلى الحديقة وبيدها توت .
أثار اندهاشها منظر الأحجار التي تملأ الحديقة ، والعمال يجتهدون في بناء السور ، صاحت محتجة : ما هذا الذي تفعلونه ؟
أقبل حور محب على أثر سماعه صوتها ، أشار لها أن تتبعه . وقف جاعلا وجهته

(١)

نحو النهر رافعا يديه داعيا وقد اصطف إلى جواره زوجه وأبنه وهما يرددان الدعاء خلفه : يا حابي العظيم يا واهب الخصب والنماء ، يا من تطفئ نار الظمأى ، وتحيي موات الأرض بمائك الطهور ، حان موسم فيضانك الميمون ، احبس تماسيحك عنا ، إلجمها ، كمم أفواهها ، أحفظ طفلي من غدرها .
لحظات صمت وخشوع مرت ، بعدها تساءلت ميريت : لماذا هذا الجدار الذي يحول بين حديقتنا وبين حابي ؟ أنسيت أننا نهوى الجلوس قرب الشاطئ ، أنسيت أن ابننا توت يهوى السباحة في النهر ، ألم تتجول به في القارب كي تدربه على استخدام

المجداف ؟ ثم لماذا تحرم الحديقة من مياه النهر المباركة التي تحمل الطمي والخصوبة ؟
أجابها وصوته مشحون بالشجن وحلقه يغص بالمرارة :
ـ يمكنك مشاهدة النهر من شرفة المنزل ، أمّا ابننا توت فلن ينزل النهر بعد اليوم ، سأصنع له حوضا كبيرا داخل الحديقة ، واترك فتحة في الجدار يندفع إليها ماء النهر ثم يصب في الحوض من خلال مجري صغير فيسبح توت متى شاء وتسقى أشجار الحديقة ونباتاتها
ـ لا أفهم الدواعي لما يجري ، لطالما نزلنا النهر المقدس بقاربنا وسبحنا بمائه وتجولنا على ضفافه ، إن صفحة النهر هادئة ونحن بعيدون عن الجنادل والشلالات ، فما الذي تغير الآن ؟ !
يجري توت وراء الفراشات والطيور . يقترب حور من زوجه ويقص عليها رؤيا ه المزعجة وما نصحته به العرافة ويدفع إليها بالتميمة لتعلقها في عنق الصغير .
فزعت ميريت وانتابها الخوف والقلق على مصير طفلها الوحيد ، وجرت إليه تحضنه وتقبله وتصطحبه إلى الداخل ، خوفا عليه من المجهول .
أقبل الفيضان وامتلأ الحوض بالماء ، طلب توت من والديه السماح له بالسباحة في حوض الحديقة بعد أن حرم من السباحة في النهر، فسمحا له وهما مطمئنان لزوال الخطر ، ظل الطفل يسبح هانئا سعيدا ، بينما العمال مشغولون بري النباتات وتهذيب الأشجار ، بعد قليل سمع صراخ الطفل ، هرع العمال إلى حوض الماء ، واقبل حور محب وميريت مسرعين لاستطلاع الأمر ، الجميع ينظرون في الحوض ويتساءلون أين توت ؟
فجأة ينسل تمساح من الحوض متجها إلى النهر عبر المجرى المائي وفتحة الجدار ويظهر في فمه أرجل الطفل . يسرع الجميع خلفه فيغوص في الماء قبل أن يدركوه .
تسقط الأم مغشيا عليها ، وينخرط الأب في بكاء شديد ، بينما العمال ينتحبون .
لحظات حزينة مروعة مرت كأنها الدهر ، بعدها ركب حور عربته وأطلق لحصانها العنان وقد استبد به الحزن والغضب حتى كاد يفقده عقله ، مضى إلى الكهف حيث تقيم

(٢)

العرافة وفي يده حربة مقوسة ، دخل عليها متوعدا إياها بالموت ، صائحا فيها : أيتها الماكرة الكاذبة ، لقد أخذت بنصيحتك ، وعلقت التميمة في عنق الصغير ، ومنعته من نزول النهر ، وبنيت جدارا بيننا وبين النهر ، لقد زعمت أن ذلك سوف يحميه ، ولكن التمساح أتى والتهمه ، ماذا تقولين الآن أيتها اللعينة ؟
بصوت واهن أجش متحشرج ردت في حسم .
ـ قلت لا ينزل النهر ولا يسبح بمائه ، أنت لم تصغ إليّ جيدا ، وصنعت حوضا وملأته بماء النهر فجاء التمساح ، مجيء التمساح مرتبط بماء النهر .

ـ تقصدين أنني لو ملأت الحوض بماء غير ماء النهر استخرجته من باطن الأرض أو أتيت به من أحدى العيون لما أتى التمساح والتهم طفلي ؟ !
ـ نعم هذا ما قصدته ، والأقدار لا ترد وما كان مقدرا سيكون .
استشاط حور غضبا وهوى بالحربة على رأسها وصدرها فقتلها وهو يردد : لماذا لم تشرحي وتوضحي جيدا أيتها اللعينة الماكرة ؟ استقل عربته ومضى إلى الشاطئ في انتظار التمساح لكي يقتله .
ساعات مضت وهو يرقب صفحة النهر ويتخيل وجه توت الحبيب يطل عليه وينادية ويدعوه أن ينقذه ، فتغرق عيناه بالدموع بينما قلبه يعتصر حزنا وحسرة على فقد ه ، وخواطره لا تكف ولا تهدأ ، يا لهذا الحظ التعس . كيف أتى التمساح ونفذ من فتحة الجدار واختبأ داخل الحوض ؟ أكان يعرف أن توتا سينزل للسباحة وجاء ينتظره ؟ وكيف لم أفهم جيدا نصيحة العرافة ؟
قطع عليه شروده وتأمله تدافع الأمواج وظهور التمساح متجها إلى فتحة الجدار ، وقف مذهولا يرقبه حتى استقر داخل الحوض ، يا إلهي إنه نفس التمساح الذي التهم توت أعرفه بعلامة في ذيله لمحتها قبل أن يغوص في الماء بعد أن ابتلع ابني .
يأمر العمال بسد فتحة الحوض ثم ينهالون علي التمساح بالسهام والحراب والأحجار حتى تمزق جسده وامتلأ الحوض بالدماء ، بعدها أمر حور محب بإخراج جثة التمساح وردم الحوض وهدم الجدار وهو يردد في أسى : الأقدار لا ترد وما كان مقدرا سيكون ،
ولا يمنع حذر من قدر .

.....

(٣)

الوارث

أمام أحد الأندية الفئوية التي ينتمي إليها بحكم عمله الوظيفي ، وقف سليم مترقبا في انتظار حضور ليلى . بدا قلقا متوترا لتأخرها عن موعدها . ظلت الهواجس تجتاحه ، والأفكار السوداء تطارده وظهر ذلك على وجهه الذي كسته مسحة من الحزن والكآبة . كانت عيناه زائغتين في متابعة الشارع ينظر في كل اتجاه ويحدث نفسه ، ترى هل ستحضر ليلى أم لا ؟ آه لك الله يا ليلى لقد تحملت من أجلي الكثير ! نعم ظلت تنتظرني خمس سنواتٍ كاملة حتى أنهيت دراستي الجامعية ثم جندت في جيش بلادي ، وبعد انتهاء

خدمتي العسكرية خرجت أبحث عن عمل ، كل هذا وليلى ترفض من يتقدمون لخطبتها بأسباب واهية أحيانا ، وتعتذر دون إبداء أسباب أحيانا أخر .
بعد تسلمي لعملي في أحد الشركات صرحت لي أنها لم يعد في طاقتها رفض المتقدمين بعد أن استنفذت كل الحيل ، وأصبح موقفها حرجا أمام عائلتها ، وطلبت مني سرعة التقدم لطلب يدها من ولي أمرها ، إذا كنت حقا أريدها .
سارعت إلى مقابلة والدها وطلبها للزواج ، فقد كان هذا حلمي وأملي في الحياة .. ولكن والدها بعد أن عرف إمكاناتي المادية المتواضعة ، ومستوى عائلتي الاجتماعي رفض طلبي ، بحجة أنني لا أستطيع إسعاد ابنته الوحيدة التي اعتادت حياة الرفاهية والعز والنعيم ، وصارحني بأن مستوى عائلتي لا يتناسب مع مستوى عائلته الأستقراطية الثرية ، أي أنني غير لائق اجتماعيا، ونصحني أن ابحث عن فتاة تنتمي للطبقة الشعبية التي أنتمي أنا إليها ثم رمقني بنظرة تحذيرية قائلا : لا داعي للطموح الطبقي .
لم أجد ما أقوله ، وخرجت حزينا يائسا وقد أظلمت الدنيا في عينّي ، والحقيقة كان دافعي لطلب الزواج بليلى الحب ، و ليس الطموح الطبقي .
منذ أن رأيت ليلى ، بدأت حياتي تتغير كانت ابتسامتها تضئ الكون أمامي فهي جميلة وديعة تبهر الجميع بحديثها ، وكان انتمائها للطبقة الأستقراطية يظهر في هندامها ومشيتها وأسلوبها الراقي .
تبادلنا التحية والنظرات ثم تحادثنا في موضوعات شتى ، وأبدى كل منا إعجابه بالأخر ، منذ ذلك اليوم أصبحت ليلى كل عالمي وأمنية حياتي .

- ١ -

أفاق سليم من أفكاره وانتبه علي رؤية ليلى قادمة تعبر الشارع . لم ينتظر حتى تصل إليه بل سارع بالسير إليها حتى قابلها في منتصف الطريق وأمسك بيدها مسلما ومعاتبا : لماذا تأخرت يا حبيبتي ؟ لقد كدت أفقد الأمل في حضورك وازداد خوفي عليك .
ــ سوف أحكي لك كل شيء عندما نجلس .
ــ لا عليك المهم أنك أتيت .
داخل حديقة النادي جلسا يحتسيان الشاي وعصير المانجو . كان سليم متلهفا لمعرفة ما توصلت إليه ليلى التي وعدته بالتصرف في الأمر ، ولكنها بدأت الحديث بصوت مشحون باليأس مفعم بالهم : رفض أبي كل توسلاتي وأيدته أمي ولديه أسبابه . إنه يرى من بين المتقدمين لخطبتي من يفضلك مالا

وجاها وحسبا ونسبا ، ولا يعترف بالحب والمشاعر ويرى أنها انفعالات وقتية ، وأنا تعبت من الدفاع عن موقفي . لا أريد مخالفة والديّ ولكن لا أستطيع الزواج بغيرك ، معنى ذلك أن أحطم قلبي وأتخلى عن حبي وسعادتي .
ــ وما العمل إذن ؟ هل انتهى كل شيء بيننا ؟ أ نضحي بحبنا وسعادتنا بهذه البساطة ؟
في نبرة أقرب إلى التفاؤل ـ ربما لتخفيف وقع الصدمة على سليم ـ أجابت ليلى : لننتظر قليلا ربما تتحسن أحوالك أو تتغير الظروف في بيتنا ، فأنا أبحث عن أحد المقربين لأبي لإقناعه بالعدول عن موقفه الرافض لك ، من يدري ربما ينجح في إقناعه .
افترق الحبيبان بعد حديث ملئ بالشجن والخوف من المستقبل ، واجهدت ليلى حتى استطاعت أن تجد من يساند موقفها ويتعاطف معها من أصدقاء وأقارب والدها ، وبمرور الوقت وافق الأب على مضض بعد إصرار ليلى وتوسط الأصدقاء .
تمت الخطبة وعقد القران في حفل عائلي بسيط طبقا لرغبة الأب الذي اعتبر أن هذا النسب غير مشّرف ولا يدعو للبهجة ، ولا داعي لحضور معارفه أبناء الأكابر وعلية القوم .
عاش سليم وليلى سنوات من السعادة ، رغم بساطة الحياة في بيت سليم وحدث أن أصيب والد ليلى بمرض خطير استدعى السفر لإجراء عملية جراحية خارج البلاد ، ولكنه عاد جثة هامدة بعد فشل العملية .
لم يكن له ورثة غير ليلى وأمها ، وانتقلت ليلى وسليم للعيش في قصر أبيها

ـ ٢ ـ

الفاخر مع أمها المسنة التي توفيت بعد سنوات قليلة وآل ميراثها إلى ليلى .
صار ت ليلى وسليم من الأثرياء ، ينعمان برغد العيش ، واعتاد سليم ارتداء الملابس الفاخرة والسفر للسياحة وحضور المنتديات والحفلات الراقية بصحبة ليلى ، التي تقدمه إلى معارفها يتبع أسمه لقب بيك ، وأصبح وكيلا عنها في إدارة ممتلكاتها التي ورثتها عن والديها .
لم يكن يؤرقهما سوى عدم الإنجاب . سنوات مضت جربت ليلى كل الوسائل الطبية دون جدوى . أخيرا رضيت بنصيبها ونسيت أو تناست فكرة الإنجاب وبدأت تمارس حياتها بشكل عادي .
قي إحدى الرحلات سافرت ليلى مع صديقاتها ولم يكن سليم معها لارتباطه بأعمال هامة ، وسقطت الطائرة لسوء الأحوال الجوية

ولقيت ليلى حتفها مع باقي الركاب . أظلمت الدنيا في عينيّ سليم وخيمّ الحزن على حياته ، بعد أن فقد حبه الخالد الذي أنار حياته ، ألقى بنفسه في دوامة العمل هربا من الحزن والوحدة ، بعد أن صار المالك الوحيد لكل ممتلكات ليلى التي آلت إليه بحكم الميراث . سنوات من الوحدة والحزن مضت بطيئة كأنها الدهر كله ، ولكنه لم يستطع أن يتخلى عن حلم الأبوة . لكم تمنى أن يكون له أبناء يسعدونه ويرثون عنه هذا النعيم !

قرر أن يتزوج عسى أن يتحقق هذا الحلم.

لكن كانت لديه مرارة قاسية ويعاني من عقدة نفسية ترسبت في أعماقه من رفض أهل ليلى له بسبب فقره وتواضع مكانته في السلم الاجتماعي ، لذا قرر أن يتقدم هذه المرة وبكل فخر وكبرياء إلي أكثر النساء ثراء وانتماء إلى أكبر العائلات بعد أن زال عنه الفقر ، كي يثبت لنفسه وللناس جميعا أنه لا يرفض لفقره أو لقلة شأنه وقد كان .

في أحد المؤتمرات الخاصة بالعمل تعرف إليها . سيدة أعمال ثرية ، يلتف حولها الجميع ، قدمه أحدهم إليها قائلا : سليم بيك يا تحية هانم ، سلمت عليه باهتمام ودعته إلى إحدى الندوات التي تحضرها ، عرف سليم أن السيدة تحية مطلقة وتعيش بمفردها في قصرها مع بعض الخدم ، فعرض عليها الزواج ، وتم الاتفاق والزواج سريعا ،

بعد عام كانت الزوجة تستعد لوضع حملها الأول ، وبدا سليم في غاية السعادة فقد أقترب حلمه من التحقق ، ولكن (تجري الرياح على غير ما تشتهي السفن) ويبدو أن الدنيا التي ابتسمت له عادت تتنكر له وتناصبه العداء . توفيت الزوجة ومعها الجنين أثناء ولادتها المتعثرة .

ـ ٣ ـ

عاد سليم إلى الحزن والوحدة ينعي حظه العاثر . مرت الشهور تتبعها السنون . تحجرت مشاعر سليم تجاه النساء وأصبح يرى تحقيق ذاته في الثروة وجمع الأموال بعد أن فقد حبه الخالد بموت ليلى وحلمه الغالي في الإنجاب بموت تحية .

شغلته الثروة والأموال و أعجبته لعبة الزواج من السيدات الثريات ، وها هو قد صار من رجال الأعمال الكبار المعدودين والمرموقين في المجتمع بفضل الثروة ، بعد أن أصبح الوارث لتركة زوجتين ثريتين ، لذا قرر أن يتزوج مرة ثالثة من سيدة لها نفس المواصفات ـ الثروة والعائلة الكبيرة ـ

قدمه أحد أصدقاؤه إلى أرملة ثرية من أكبر عائلات الصعيد ، ظلت ترفض المتقدمين الراغبين في الزواج بها لاعتقادها أنهم طامعون في ثروتها وأنهم ما تقدموا لها حبا في شخصها وإنما حبا في أموالها ، وربما ـ بعد الزواج ـ يتمنون موتها كي يرثوها .

ولكن رشيدة هانم قبلت الزواج من سليم دون تردد بل بترحاب شديد ، فهو سليم بيك رجل الأعمال الكبير والمليونير الشهير ، وليس من المعقول أن يكون طامعا في أموالها وهو أكثر ثراء منها ، فحينما حضر بصحبة صديقه لزيارتها أول مرة قدم لها هدية نفيسة من الماس ، لذا تم الاتفاق على كل الأمور الخاصة بالزواج سريعا ، وتم عقد القران شرط أن يكون الزفاف بعد أسبوعين حتى يرتب كل طرف أموره ، بعدها سافر سليم مستقلا القطار المتجه إلى القاهرة ، وبمجرد أن استقر على مقعده أخرج من جيبه قلما ومفكرة صغيرة وراح يحصي ويسجل ممتلكات وأموال العروس الجديدة التي استطاع الحصول عليها من مصادر مختلفة ، ممنيا نفسه بتلك الثروة الضخمة التي سوف تضاف إلى ثروته . اسند رأسه على كرسيه وأغلق عينيه وراح يحلم بيوم الزفاف ، ذلك اليوم الذي تنتقل فيه رشيدة هانم وثروتها إليه .

في اليوم التالي تصفحت رشيدة هانم جرائد الصباح ، وإذا بعنوان صادم بالبنط الكبير يتصدر كل الصحف ، انقلاب قطار الصعيد المتجه إلى القاهرة بسبب خروجه عن القضبان ، حادثة أدمت قلب المجتمع المصري وخلفت مئات الضحايا بين موتى ومصابين .

في خوف ولهفة بدأت تقرأ أسماء الضحايا فإذا باسم سليم ضمن أسماء

المتوفين . عقدت الصدمة لسانها ، وانهمرت دموعها ت تنعي حظها السيئ وفرحتها التي لم تتم . مات سليم بيك ، الرجل الوحيد الذي ارتضته من بين المتقدمين لها ، وماتت معه آمالها وأحلامها في السعادة .

مرت الأيام ، وحضر محامي سليم ليخبرها أنه تم عمل إعلام الوراثة وأن نصيبها من تركة زوجها المتوفى ـ الذي لم تزف إليه ـ يقدر بملايين الجنيهات .

تمتمت رشيدة وهي توقع على الأوراق الخاصة باستلام الميراث قائلة :

سبحان الوارث الذي يرث الأرض وما عليها !

بشارة خير

على صخرة عالية ، بين صخور إحدى المصدات المقامة داخل البحر، قرب الشاطئ ، حماية له من ثورة الأمواج العاتية عندما يغضب البحر وتهيج أمواجه وتشتد هجماتها وضرباتها المتتابعة.

وقف الشاب عبد الرازق يتأمل صفحة الماء وقد ألقى بسنارته التي ملأها بالطعم الجاذب للأسماك ، استنشق عبير البحر النقي بينما أذناه تصغي لهدير الأمواج وعزفها ،

طال انتظاره وهو يراقب عوامة السنارة، أخيرا جلس صامتا وهو ينظر إليها تارة وإلى الفضاء تارة أخرى .
كان عبد الرازق ـ ولا يزال ـ محبا للبحر عاشقا لهواية الصيد ، فمنذ صباه كان يرى الصيادين يتجولون على شاطئ النيل و يلقون شباكهم ، في الماء فيتابعهم من شرفة منزله المطل على النهر ثم ينزل ويقف إلى جوارهم ، ويبهره منظر الأسماك وهي تقفز من الشباك فيجمعها الصيادون في سلال صغيرة ويبيعونها لأهالي المنطقة ، ويذكر أن أمه كانت تطلب منه شراء الأسماك فور خروجها من الماء وهي لا تزال طازجة ، ويذكر أنها كانت خليطا من أنواع كثيرة وكانت الأم تتفنن في طهيها .
لكنه لم يكتف بالفرجة وطلب من أمه أن تشتري له سنارة ، من يومها نمت لديه هواية صيد الأسماك ، وتعلم منها الصبر والتأمل والصمت الطويل الذي يتيح له التفكير بذهن صاف .
ظلت الخواطر والذكريات تتوالى على ذهنه وهو قابع فوق الصخرة .
ابتسم في سخرية مغلفة بالحزن حينما تذكر يوم تخرجه في كلية التجارة بتقدير مرتفع ، وأحلامه بمستقبل واعد تتراقص أمام عينيه ،وكأنه يرى الدنيا تبتسم له ، حيث كان متفوقا طوال مراحل دراسته ، وأعفي من الخدمة العسكرية لأنه وحيد والديه طبقا لقوانين البلاد ، لذا فرح والداه وبدأت مرحلة البحث عن وظيفة ، طرق كل الأبواب ، فوجدها موصدة ولا تفتح إلاّ لذوي النفوذ ودافعي الرشوة ، وهو ليس من هؤلاء ولا أولائك ، فأبواه من موظفي وزارة التعليم ، وإن كانت الأسرة تعيش عيشة كريمة إلاّ إنها لا تملك نفوذا ولا جاها ، وليس لديها مالا فائضا عن حاجتها ، فضلا أنها لا تقبل قضاء مصالحها عن طريق الرشوة .

إذن خاب أمله في الحصول على وظيفة حكومية تناسب مؤهله العلمي ولم يشفع له تفوقه الدراسي .
سنوات مضت ثقيلة مملة وهو يتابع إعلانات الصحف وشبكة الإنترنت ، ويسرع بتقديم المستندات المطلوبة مشفوعة بسيرته الذاتية ، متضمنة مؤهلاته ومواهبه الكثيرة ثم ينتظر الرد دون جدوى .
توفي والده ، وبعد فترة رقيت الأم إلى درجة وظيفية أعلى تم على أثرها نقلها للعمل في هذه المدينة الساحلية .

وافق عبد الرازق علي قرار الأم ببيع بيتهم القديم في بلدتهم ، وشراء شقة في مقرهم الجديد والاحتفاظ بباقي المبلغ ـ لحاجة الزمن ـ كما ترى الأم فهي لا تملك سوى راتبها ومعاش زوجها دخلا شهريا لتدبير معيشتها هي وابنها ، إلى أن يجدعملا .
من يومها وهو يحضر بين الحين والأخر إلى هذه الصخرة ليمارس هوايته في صيد الأسماك والتسرية عن نفسه بعد أن يئس من الحصول على وظيفة حكومية .
انتبه على مرأى عوامة السنارة تنسحب بعيدا وتغوص في الماء ، فجذب السنارة فإذا بها سمكة كبيرة تتراقص في الهواء محاولة الفكاك ، فأمسك بها ووضعها في كيس من البلاستيك ، ثم زود السنارة بطعم جديد وألقى بها في الماء ، في نهاية اليوم عاد إلى منزله وسلم حصيلة الصيد إلى أمه التي فرحت بها وأخبرته : إنها رأت ذلك في منامها الليلة الماضية ، واعتبرت أن ذلك فأل حسن وبشارة خير ، فرؤية الأسماك في المنام ـ في ظنها ـ دليل على خير قادم .
ابتهج عبد الرازق لحديث أمه وتفسيرها للحلم على هذا النحو ، وشعر بقرب الفرج ، وقبل يدها طالبا منها الدعاء ، فهي دائما تمده بالأمل وتدعوه إلى عدم اليأس ودائما تكرر على مسامعه حينما يشكو لها من ظروف حياته المحبطة وخيبة أمله في تحقيق أحلامه ، وما يعانيه من ضيق وهم، فتجيبه : فرج الله قريب يا بني ، لا تيأس من رحمة الله ، إن بعد العسر يسرا ، فتهدأ نفسه ويتجدد الأمل بداخله .
بعد تناول وجبة السمك الشهية ، تحدث عبد الرازق مع أمه في محاولة لإيجاد حل لمشكلته ، وهي في الواقع مشكلة سبعة ملايين شاب في مصر.

- ٢ -

إنها البطالة التي تهدر طاقات الشباب فتضيع دون الاستفادة منها وقد تدفع بعضهم إلى السير في الطريق الخطأ ، وللأسف فشلت الحكومات المتعاقبة في حلها ، إما عجزا أو إهمالا ، وإما لعدم وجود إرادة للحل أصلا .
تركته الأم يتحدث ـ ويفضفض ـ وهي تصغي باهتمام حتى أنهى حديثه بتنهيدة عميقة تدل على ما يعانيه من إحباط ثم قالت : يا ولدي لماذا ينتظر كل شاب حتى توفر له الحكومة وظيفة حكومية ؟ ولماذا لا يبحث عن طريق أخر لطلب الرزق ؟

ـ أليس من الأنسب والأصلح يا أمي أن أعمل في مجال تخصصي العلمي ! وإلاّ لماذا أنفقت هذه السنوات من عمري في الدراسة والبحث ؟
ـ هذا صحيح يا ولدي ، ولكن لا بد من وجود بدائل ، والإنسان السوي يتحايل على الظروف ويحاول قهر المشكلات والتغلب عليها .
ـ معك حق ، لابد أن انتصر على مشكلاتي ولكن .. من السهل أن نوجد الحلول النظرية ، أما التطبيق فشيء آخر ، ثم ما هو العمل المتاح أمامي ؟
ـ اسمع يا عبد الرازق ، أنت تحب البحر وتهوى الصيد ، وصيد الأسماك حرفة جميلة وممتعة ، فلماذا لا تتخذها مهنة لك ؟
ـ حقا أنا أحب البحر وأهوى الصيد ولكن فارق كبير بين الهواية والحرفة فكل مهنة لها أصول .
ـ بإمكانك أن تتعلم أصول المهنة ما دمت تحبها ، من يدري ربما تجد فيها نفسك ورزقك ، فلماذا لا تجرب ؟
صمت عبد الرازق ونهض متجها إلى حجرته ، وظل يفكر في حديث أمه حتى كاد يقتنع .
في اليوم التالي سألته عن رأيه فيما قالته له بالأمس ، أجابها : هبي أنني وافقت على الاشتغال بمهنة الصيد ، من أين لي بقارب وعمال يساعدونني؟ أم ترين أنني سأحمل شبكة على كتفي وأجوب ساحل البحر ؟
ـ لا يا ولدي ولكن بإمكانك أن تقابل أحد الصيادين الكبار وتعرض عليه العمل معه على بعض القوارب التي يمتلكها ، حتى تتعلم أصول المهنة وتجيد التعامل مع أهلها ، حينئذ يمكنك شراء قارب خاص بك وتؤجر عمال يساعدونك ، وسوف تجد مصوغاتي وما تبقى من ثمن البيت تحت تصرفك
أومأ عبد الرازق برأسه علامة الموافقة على اقتراح أمه ، ثم حمل سنارته وخرج متجها إلى البحر مبكرا .

- ٣ -

قبل أن يتسلق الصخرة ، لاحظ وجود عدد كبير من قوارب الصيد وفوقها مجموعات من الصيادين ومساعديهم يستعدون للإبحار لممارسة مهنتهم والبحث عن رزقهم ، بينما وقف قبالتهم على الشط رجل كبير وقور ، ظل يوجههم ويصدر لهم التعليمات ، ثم دعا لهم بكثرة الرزق وسلامة العودة .
انتظر عبد الرازق حتى أنهى الرجل توجيهاته لرجاله ، وفهم أنه لابد صاحب أسطول قوارب الصيد ، فاقترب منه وألقى عليه السلام ، رد الرجل

السلام ثم سأله إذا كان يعرفه ؟ أجاب عبد الرازق في أدب واحترام : يا سيدي أنت معروف لكل سكان المدينة ، بخلقك الكريم وسمعتك الحسنة ، ورعايتك للعاملين معك ، وأمانتك في البيع والشراء .
سر الرجل بهذا المديح ودعا الشاب أن يصطحبه إلى مكتبه للتعارف وتناول الشاي معا .
في مكتب رئيس الصيادين وكبير تجار السمك طال الحديث وحكاعبد الرازق قصته بأمانة ، استشعر الرجل في حديثه الصدق ، وتوسم فيه الذكاء والطيبة والثقة بالنفس ، فعرض عليه العمل في مكتبه مسئولا عن حسابات تجارته مقابل أجر مجز واعدا بزيادته مستقبلا .. إذا أحسن أداء عمله .
رحب عبد الرازق وشكر الرجل ، وعاد إلى بيته سعيدا راضيا وأخبر أمه بأنه وجد وظيفة مناسبة عند كبير تجار السمك ولن يحتاج لأخذ مصوغاتها ردت الأم ـ في فرح وحنان ـ ألم أقل لك يا بني أن رؤية الأسماك في المنام بشارة خير ، أما مصوغاتي وما معي من مال فهما هدية لك حينما تتزوج ، كي تنجب لي أحفادا أسعد بهم . أجاب عبد الرازق بامتنان : إن شاء الله يا ست الحبايب ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، هذا من فضل ربّي، ثم بفضل دعاءك لي ورضاءك عنّي .

ـ ٤ ـ

عناد وكبرياء

في شقة صغيرة أنيقة ، ترفرف عليها أجنحة السعادة ، تعيش الشابة الجميلة الرقيقة المثقفة نعمة مع زوجها وطفليها . حياة حافلة بالمودة والرحمة والحب المتبادل . نعمة محبوبة من أهلها وأهل زوجها و جيرانها وكل من

يعرفها لأنها ودودة ، مهذبة ، تحترم الجميع ، جل اهتمامها ينحصر في توفير سبل الراحة والسعادة لأسرتها الصغيرة . هذا في المقام الأول : ثم اهتمامها بالبحث والتأليف فهي قارئة جيدة وكاتبة مجيدة ، القراءة والكتابة عندها موهبة وهواية ولذا تحلم أن يكون لها شأن في عالم الأدب .
ذات يوم قرأت في صحف الصباح إعلانا عن مسابقة في الشعر والقصة والمقالة ، تجريها إحدى المؤسسات التي تشرف على عدد من قنوات الإذاعة والتلفزيون لاختيار منها ما يصلح ليكون مادة تقدم للمستمعين والمشاهدين . فرحت نعمة وجمعت من مؤلفاتها ما يتفق والشروط المعلنة وحملت أوراقها واتجهت لمقر المسابقة وهي تمني نفسها بأن ما تقدمه سوف يكون أوراق اعتمادها كمبدعة وجواز سفرها للشهرة ونشر إنتاجها عبر وسائل الإعلام مذاعا ومصورا .
ما أن عاد زوجها من عمله حتى أسرعت إليه في سرور وزهو وأخبرته بما فعلت . ثار الزوج وهاج وماج وراح يكيل لها الاتهامات ، للحظات سيطر فيها الذهول على نعمة من هول المفاجأة غير المتوقعة ، والتصرف الغريب غير المبرر من جانب الزوج . والذي أظهر لها جانبا من شخصيته لم تكن تعرفه من قبل . واعتقدت أن يكون فهمها خطأ .. أرادت توضيح الأمر ، فردت في هدوء وثقة : أنا لم أتقدم للعمل في الأعلام ممثلة أو راقصة ، أنا كاتبة ومؤلفة .. قاطعها في عصبية : أعرف ذلك ولكنني لا أحب أن تكون زوجتي مشهورة واسم معروف للجميع .. لا تبحثي عن الشهرة ، وإياك والذهاب أو التردد على هذه المواقع .
صاحت نعمة في حدة ، وقد نفد صبرها ـ وما العيب في هذا ؟! ولماذا أحبس موهبتي الذي وهبني الله إيّاها ، أين الخطأ فيما فعلت ؟!!
دق جرس الباب ، واتجهت نعمة وفتحت للقادمين فإذا هم أخوة الزوج

وأقاربه الذين اعتادوا زيارتهم في مجموعات ، بمجرد دخولهم لاحظوا توتر الطرفين وغيوم الكآبة والغضب تغطي سماء البيت ، تساءلوا في عفوية عن الأسباب ؟! أخبرتهم نعمة بالحكاية كلها وقبل أن يعلقوا أنهال الزوج بالشتائم والعبارات الجارحة على زوجته مما أحرجها أمام أهله وجعلها تشعر أنه أهانها وأهدر كرامتها فردت في تحدي : لن أتراجع عن

موقفي ، ولن أبقى في بيتك بعد الآن واتجهت إلى حجرتها وجمعت أوراقها وبعض ملابسها وخرجت تحمل حقيبتها في طريقها للخارج .
عندما وصلت إلى باب الشقة استوقفها وصاح مهددا : إذا خرجت من البيت لن تعودي إليه مرة أخرى . وقف الأهل محاولين تهدئة موجة الغضب الذي اجتاحت الطرفين وإثناء نعمة عن الخروج ، لكنها أصرت على موقفها و اتجهت إلى بيت إحدى صديقاتها المقربات ، كي لا تدع فرصة لأحد للتأثير عليها وإعادتها لبيت الزوجية ، مضت أسابيع والأهل يبحثون عنها في كل مكان يحتمل وجودها فيه ، خشية أن يكون حدث لها مكروه حتى اهتدوا إلى بيت الصديقة ، وبعد حديث طويل من اللوم والعتاب على غيابها عادت لبيت أهلها الذي يسكنه أخوتها بعد وفاة والديها .
كثيرة هي محاولات الصلح من الأهل والأصدقاء مستغلين عاطفة الأمومة غير أن كبرياء نعمة أبى أن يلين .
إلاّ إذا ترجع الزوج عن موقفه ، وأصر الزوج على موقفه ، ورفض التراجع وأمعن في عناده .
ونتيجة لهذا الإصرار طلبت نعمة الطلاق وألحت عليه وهي تؤكد و تردد : أنا لم أفعل شيئا خطأ، ولم أقصّر في واجباتي نحوه ، فليس من حقه إذن منعي من إظهار موهبتي ونشر إنتاجي الفكري والأدبي ، ما دام أصيلا ومبتكرا ومفيدا للناس ، ثم كيف أنسى أنه أهانني أمام ضيوفي ولم يحترم مشاعري ؟! وفي حالة من الانفعال الشديد تابعت : إنه لا يريد لي الخير إنه يغار من نجاحي .. وبين العناد والكبرياء تفرق شمل الأسرة .
وافق الزوج على طلاق زوجه بشروط مجحفة .. وراح يملي شروطه أولا : التنازل عن كل حقوقها المالية ، من نفقة ومؤخر صداق وغيرها ـ وثانيا : التنازل عن حضانة الطفلين ، ثالثا : عدم مطالبتها برؤيتهما سواء بذهابهما إليها أو مجيئها إليهما . رابعا : ترك جميع مقتنياتها وأغراضها بالمنزل وعدم أخذ شيئا منها . و خا مسا وسادسا وسا بعا إلى آخره ..
وافقت نعمة وقبلت بكل شروطه إلاّ شيئا واحدا رفضت التنازل عنه هو

كتبها وأوراقها ، وافق الزوج وأعطاها المكتبة بكل ما فيها ، لأن الكتب لا تعني شيئا ذا قيمة بالنسبة له .
مرت نعمة بأوقات عصيبة ومعاناة نفسية شديدة نتيجة لحرمانها من طفليها كانت تستطلع أخبارهما من خلال الأقارب و المعارف ، وتطمئن عليهما

من خلال الاتصال الهاتفي ما استطاعت إلى ذلك سبيلا . ولكي تنسى أحزانها انهمكت في القراءة لإشباع هوايتها ، وممارسة موهبتها في التأليف شعر الزوج بالندم وبدا يدرك أن عناده كان سببا في خراب البيت وحرمان طفليه من أمهما ، وأنه خسر زوجة صالحة ليس من اليسير تعويضها .
وتكررت محاولات الصلح من الأهل والأصدقاء من أجل عودة المياه إلى مجاريها بين نعمة وطليقها - والصلح خير - غير أن نعمة لم تستطع أن تنسى له أنه نعتها بصفات سيئة ليست فيها ، مما أصاب كرامتها بجروح غائرة لم تندمل بعد ، وكما بالغ الزوج في عناده بالغت هي في كبريائها .
سنوات مضت ، أصبح اسم نعمة يتردد في الأوساط الثقافية ، وأفردت لها الصحف والمجلات مساحات على صفحاتها الأدبية ، واحتفت القنوات الإذاعية والفضائية بأعمالها تمثيلا وتعليقا وأجريت معها اللقاءات وكثر الحديث عنها وتألقت معنويا وماديا .. لم يكن يعكر صفو حياتها إلاّ فراق طفليها ، تقدم لها الكثيرون طلبا للزواج منها ، لكنها رفضت رفضا باتا مجرد التفكير في الزواج .
ذات يوم دق جرس الباب ، فتحت نعمة وكانت المفاجأة حضور ابنيها لزيارتها وقد كبرا وصارا في مقتبل الشباب ، استقبلتهما بالأحضان ودموع الفرح تتساقط من عينيها وعمت البهجة كيانها ثم تساءلت : كيف سمح لكما أبوكما بزيارتي ؟!! أجاب أحدهما في حزن : لقد توفي أبونا منذ أسابيع ولم يعد يوجد مانع من حضورنا إليك . . وعلق الثاني لم يعد لنا أحد غيرك يا أماه يرعانا ونحتمي به ، ضمت نعمة ابنيها إلى حضنها وهي تبكي وتقول : رحم الله أباكم ، كم كان عنيدا وقاسيا - ولا أبرئ نفسي - فكما تمادى هو في عناده غاليت أنا في كبريائي، لم يشأ أحد منا أن يتنازل أو يضحي ولو قليلا من أجلكما ، أعمتنا الأنانية وشل الغضب تفكيرنا ، فتمزق كيان الأسرة وعانينا جميعا وندمنا على ما فعلنا ، ولكن بعد فوات الأوان .. وكنتما أنتما الضحية بلا ذنب ولا جريرة ، ودفعتما ثمن العناد والكبرياء . ولكن لن نفترق بعد الآن وسأبذل ما في وسعي لأعوضكما عما فات .

قصة بقلكم / نوال مهني

في حجرة قديمة مظلمة ، جلس مهموما حزينا وقد أسند ظهره ورأسه إلى الجدار ، عقد أصابعه حول ركبتيه وعيناه تحدق في سقف الغرفة . راح يستعرض الأحداث التي مرت به حتى أوصلته إلى هذه النهاية المؤسفة داخل هذا المخبأ الكئيب الذي يشبه الزنزانة مطاردا مهانا مطلوبا من الأمن وصارت صوره وأخباره تملأ صفحات الحوادث في كبرى الصحف والمجلات ضمن عتاة المجرمين ، وأصبح اسما مشهورا يردده أهالي المنطقة مع قصص وحكايات أشبه بالأساطير .

يمر الناس أمام قصره الذي يطل على فناء واسع ، ويحيط به سور فخم ذو بوابة ضخمة يظهر من خلالها صف من الأعمدة ذات الزخارف المطلة على الفرند وكأنه إيوان أحد السلاطين ، ثم السيارة الفاخرة الرابضة في فناء القصر والخفراء الموكلون بالحراسة وهم يحملون السلاح .

وتبرز الأسئلة الصامتة ، من أين أتى ضيف بكل هذا ؟ ! !

إلى وقت قريب كان بيته من الطوب اللبن ، مسقوفا بجريد النخيل ، كل ما يعرف عنه أنه أحد البدو الذين يعيشون على أطراف الصحراء القريبة من القرى . كان أبوه رجلا بسيطا ، اشترى عدة أفدنة من إحدى شركات استصلاح الأراضي التي فشلت الحكومة في زراعتها وإدارتها فقررت بيعها في مزاد علني بثمن بخس ، وبالتقسيط المريح ، واجتهد هو وإخوته في مساعدة الوالد لفلاحتها حتى أثمرت وآتت أكلها.

بعد فترة عرضت للبيع أرض جديدة في مزاد جديد ، فقام ببيع الأرض الأولى للفلاحين مجزأة بعد أن تضاعف ثمنها ، ثم أشترى بدلا عنها عددا كبيرا من الأفدنة ، وأصبح هو وإخوته أصحاب مزارع واسعة تجود بالثمار الكثيرة والخيرات الوفيرة ، ولكن .. كل هذا لا يحقق هذا الثراء السريع .

فالفلاحون يعرفون متاعب فلاحة الأرض ومقدار ما تدره من دخل .

كثرت الأقاويل والإشاعات عن تجارة الآثار وتردد بين أهالي المنطقة أن ضيف هنداوي عثر على كنز أثري في الأرض الصحراوية التي يملكها أثناء الحفر لدق ماسورة المياه الجوفية ، فأوقف الحفر وصرف العمال ثم أتي ليلا هو وإخوته واستخرجوا الكنز ، بعدها تتابعت حفرياتهم في المنطقة كلها للبحث عن الآثار واستخراجها وبيعها ، رغم معرفته أن القانون المصري يحرم الاتجار بالآثار واعتبارها أرثا قوميا تملكه الدولة

ومما جعل الناس يرتابون في أمره أن ضيفا هذا القصير الأسود الذي لا يملك شيئا من مقومات الوجاهة ولا يذكيه حسب ولا نسب أصبح مقربا من رجال الأمن وذوي السلطان ، يزورون بيته ويقضون له الكثير من الحاجات ، ويلبون له بعض المطالب ، فذاع صيته وصار مقصدا لذوي الحاجات .

ثم عين عمدة على القرية الكبيرة التي تتبعها عزبته الصغيرة ، رغم وجود رجال من عائلات عريقة في هذه القرية هم أحق منه بالعمودية وأصلح لها لم يكتف بذلك بل بدأ يفكر جديا في الترشح لعضوية البرلمان ، وزعم أن لديه وعودا أكيدة بالفوز في الانتخابات من قيادات أمنية كبيرة بحكم صداقته لهم .

وأشيع عنه ـ ضمن ما أشيع ـ أنه يعمل مرشدا لرجال الأمن ضد من يعتقد أنهم إرهابيون أو متطرفون ، مما أتاح له التخلص من خصومه والقضاء على كل من يقف في طريقه والوشاية بكل من لا يستريح إليه ،

فكثر ضحاياه من الأبرياء ، فكان حصاده كراهية الناس وبغضهم ، لذا اعتاد أحد أعيان المنطقة أن يناديه ـ ساخرا ـ كلما رآه بقوله : أهلا بسفاك الدماء . ربما كان هذا هو سر علاقته برجال الأمن وقربه منهم ،

نظر ضيف حوله في تلك الحجرة المغلقة التي تقع داخل بيت قديم يملكه أحد أقاربه في محافظة مجاورة لمحافظته ، التي لجأ إليها هربا من ملاحقة الشرطة . تذكر كيف تخلى عنه الذين كانوا يساندونه بالأمس وأنكروا ما قدمه لهم من خدمات ، بعد أن افتضح أمره وأصبح (ورقة محروقة)

لم ينس حين استدعي ـ قبل ذلك ـ من الشرطة لسؤاله وأخذ أقواله حول انتشار سرقات الآثار في المناطق المجاورة له ، فأنكر معرفته بأي شيء وسانده أحد المسئولين الكبار وخرج منتصرا ينظر شزرا للشامتين ويخرج لهم لسانه كمن يتوعدهم .

أما هذه المرة فكانت حقا ليلة ليلاء دامية ، حينما جاء شركاؤه في تجارة الآثار، وبدأ الحساب وتقسيم حصيلة البيع ، وكان الخلاف حادا على النسب المستحقة لكل منهم ، فهو يرى أن الكنز وجد في أرضه وهو صاحب الحق فيه ، وهم يرون أنه لولا جهودهم ما استطاع أن يتصرف فيه أو ينتفع به .

في النهاية وافق ضيف على شروطهم وهو يضمر شيئا آخر .

بعد أن قسمت الغنيمة وتناولوا طعام العشاء ودعهم هو وإخوته ، غير أن الشركاء قرروا البقاء بعض الوقت للاستمتاع بهدوء الصحراء

وطيب هوائها على أن يبدؤوا رحلة العودة قبيل الفجر .
وعلى غرة انقض عليهم ضيف ورجاله وقتل الشركاء الثلاثة بعد مقاومة عنيفة ، وجرح بعض رجال ضيف جروحا طفيفة ، وتم استيلاؤهم على أسلحة القتلى ونقودهم وفروا هاربين .
ما أن تنفس الصبح وطلع النهار حتى تكشفت الجريمة ، وانتشر الخبر ، وبدأت التحقيقات و التحريات لمعرفة هوية القتلى والبحث عن الجناة .
حامت الشبهات حول ضيف ورجاله فتركوا منازلهم وفر كل منهم إلى جهة غير معلومة .
دارت الحجرة بضيف وهو يسترجع شريط الأحداث وأحس بصداع شديد في رأسه ، ورعشة عنيفة في جسده ، وتصاعدت خفقات قلبه وكأنه يقف في مهب عاصفة تصرصر في أذنيه وتلفح وجهه ، وتزلزل كيانه ، وأصوات مرعبة تطرق سمعه ، ارتمى على الأرض وهو ينتفض ، وشعر بلكمات وركلات تضرب جسده كأنها سياط غليظة لا يعرف مصدرها ، صار يتخبط كأن به مس من الجن .
حاول النهوض فلم يستطع ، أحس بحمل ثقيل يجسم على صدره ، وعيناه زائغتان ، تتراءى أمامه أشباح مخيفة ، فجأة وضحت الرؤية وكأن ستارة سوداء قد أزيحت من أمام عينيه ، فإذا به يقف في بهو فسيح لمعبد فرعوني ضخم مستندا إلى أحد الأعمدة التي يعلوها تاج من أزهار اللوتس ، وقد شدت يداه وساقاه إلى العمود بحبل غليظ وحوله عدد من الحراس وبأيديهم الحراب المصوبة نحوه ، وبجواره تمثال ضخم للإله عم عم على هيئة تمساح فاغرا فاهه كي يلتهم المذنبين الذين خفت موازينهم في محكمة العدالة .
بينما يجلس الملك على كرسي العرش وبيده الصولجان ، وفوقه نقش لميزان في إحدى كفتيه ريشة وفي الكفة الأخرى قلب إنسان ، وعن يمينه ويساره عدد من كبار الكهنة بزيهم المنقط ورؤوسهم الحليقة وفي الساحة حشد كبير من الجماهير .
بدا الملك غاضبا متجهما وهو يسأل الكهنة :
ـ أين الصلوات والتعاويذ التي وضعتموها في قبري لحراسة جسماني وكنوزي ؟ يبدو أنكم لم تقوموا بعملكم بشكل جيد ، كيف تسرق كنوزي ويهان جسماني ؟ ومن الذي تجرأ وفعل هذه الفعلة الشنيعة ؟

يتقدم كبير الكهنة معلقا علي كلام الملك :
ـ مولاي الفرعون العظيم ابن أمون ، لقد قمنا بواجبنا في تحنيط الجثمان وحفظه ، ووضعنا معه التعاويذ والدعوات ونصوص من كتاب الموتى ولم نقصر في توصية القرين في إيذاء كل من يقترب من مقبرة الملك المعظم ، بل وضعنا للقرين تابوتا خاصا بجوار تابوت الملك حتى يبقى دائما في حراسة المقبرة ، وقد تفنن المهندسون والبناءون في إخفاء حجرة الدفن لتضليل اللصوص .
ـ إذن كيف استطاع هذا الشقيّ أن يعبث بمقبرتي وجسماني على هذه الصورة المهينة ؟
تتعالى الأصوات من القاعة : عليه اللعنة ـ عليه اللعنة .
يتقدم الكاهن الثاني معلقا في حسم .
ـ مولاي الفرعون العظيم ابن أمون ، يبدو أن شرور إنسان آخر الزمان قد فاقت قدرات الجن ، وقد أحضرنا هذا اللص إلى المحكمة العادلة ليلقى جزاءه ، إنه حفيد جاحد عاق .
ـ بل هو لص يجب عقابه ، أتوني به .
يندفع بعض الحرس ويفكون وثاقه ثم يحملونه ويلقون به أمام الملك وهو يرتعد خوفا وهلعا ، حاول أن يرفع رأسه وينظر إلى الملك فلم يستطع ، كانت هيبة الفرعون وصرامة ملامحه وعمق نظراته أكبر من احتماله .
ارتعدت فرائصه بينما صوت الملك يكاد يخرق أذنيه في حدة وقوة محدثا دويا ترتجف له الأبدان ، فيتردد صداه في أرجاء المعبد .
ـ أيها الشقي كيف سولت لك نفسك سرقة المومياء المقدسة والكنوز الملكية؟
ـ أنا .. أنا ..أ.. أ.. ، لم يستطع النطق بجملة وحدة ، شعر بأن الدماء تجمدت في عروقه وجف حلقه ، وانعقد لسانه ، بينما الملك يتابع استجوابه :
ـ أتعرف أيها الأحمق ماذا فعلوا بجسماني ؟ لقد طحنوا المومياء المقدسة ليصنعوا منها مسحوق المومياوات ، فقد زعموا أنه يشفي من أمراض كثيرة ، إنهم يبيعون مسحوق مومیائي بالجرام ، ويعدونه أغلى من الذهب أهكذا يصنع بملك مصر العظيم ؟ باني الحضارة وقاهر الغزاة ، يا لها من فاجعة ! يصمت الملك قليلا ثم يصيح فيه .
ـ من أنت حتى تفعل ذلك ، تكلم أيها الشقيّ الأحمق .
تتعالى الأصوات من القاعة : عليه اللعنة ، عليه اللعنة .
استجمع ضيف قواه ورفع رأسه قليلا ـ أدرك أنه لا بد أن يجيب عن أسئلة الملك ، فقال : بصوت واهن متقطع . ـ٤ ـ
ـ العفو يا مولاي ، العفو يا مولاي ، لقد أخطأت ، لقد أخطأت .

ـ إذن أنت تقر بأنك مذنب .
ـ نعم ، نعم .. ولكن..
ـ ولكن !! ماذا تقصد أيها اللص ؟ أجب
ـ ولكن لست أنا وحدي الذي يفعل ذلك .
ـ كيف وقد أخبرني قريني أن أحفادنا قد وضعوا القوانين الصارمة لعقاب من يسرق معابدنا أو ينبش قبورنا .
ـ هذا صحيح يا سيدي ، ولكن المشكلة أن واضعي القوانين هم أول من يخرج عليها ، فهم يطبقونها على العامة ويعفون أنفسهم ، فسقطت هيبة القانون وضعفت الثقة في العدالة ، فالحكام يا مولاي لا يلزمون أنفسهم بما يلزمون به الرعية ويتركون لحاشيتهم الحبل على الغارب ، لينهبوا ثروات الأمة ، ويتحكموا في رقاب أبنائها ، فلماذا هم وحدهم يستأثرون بهذه الثروات ويحرم منها الشعب ؟
ـ إذن أنت تدّعي أنك لم تجد القدوة الصالحة في ولاة الأمور ، ووجدت القدوة السيئة فاتبعتها ، هذا لا ينفي عنك الذنب ولا يعفيك من العقاب .
ـ أن هذا الكنز يا سيدي وجد في أرضي ، وهو ميراثي من أجدادي ، فلماذا لا أنتفع به مثل غيري ؟
ـ هذا الميراث شادته ثلاثون أسرة ، كانت مصر خلالها سيدة الدنيا ، فلا يباع للغرباء بل يجب أن يصان ويحفظ لتراه الأجيال المتعاقبة ويراه العالم أجمع .
كان صوت الفرعون مشحونا بالشجن مليئا بالحزن ، فتقدم كبير الكهنة معلقا : مولاي الفرعون العظيم ، لقد دأب اللصوص على السطو على المقابر بهدف السرقة لقد ، صاروا عبيدا للمال ، ولم يقدروا ما بها من علم وفن وحكمة ، لقد سجلنا خلاصة معارفنا على أوراق البردي وعلى جدران المعابد والمقابر ، كي ينتفع بها أحفادنا وكم بذل البناءون والفنانون من الوقت والجهد لتشييد وتزيين هذه المعابد الرائعة، والصروح المهيبة ، والمقابر الأعجوبة ، ثم يأتي هؤلاء الحمقى فيعبثون بحضارة أجدادهم ، بدلا من أن تكون مصدر فخرهم ؟!!
يتراجع الكاهن الأول إلى الوراء قليلا ويتقدم الكاهن الثاني قائلا :
ـ ولكن يا مولاي الملك المعظم ابن أمون ـ ليس كل الأحفاد بهذا الجحود ، فهناك أوفياء مخلصون

عاكفون على دراسة حضارتنا وتفسيرها وترميم ما تهدم منها ، وهم جادون في الحفاظ عليها ، ويشيدون بأمجادنا ، ويفخرون بالانتماء إلينا فليس كل الأبناء والأحفاد سواء ، بل فيهم الصالح والطالح .
يتنهد الملك وقد بدا عليه بعض الارتياح ثم يرفع يده مشيرا بالصولجان للكهنة والجماهير قائلا : بماذا تحكمون على هذا اللص وأمثاله ؟
تتعالى الأصوات من القاعة : يعدم ـ يعدم ـ يعدم .
يومئ الملك برأسه علامة الموافقة ، ويشير للحرس بالتنفيذ ، ويضم ذراعه إلى صدره بالصولجان ويتبعه الكهنة فيشيرون بالموافقة ويضمون أيديهم إلى صدورهم كما فعل الملك .
يسرع الحراس ويمسكون بضيف ويقودونه إلى موقع الإعدام وهو يصرخ مستغيثا : الرحمة ـ الرحمة ، لا أريد أن أموت ، اتركوني وخذوا هذا الكنز الملعون ، اتركوني ، الرحمة ، الرحمة ، فجأة ينفتح باب الغرفة ويدخل سيد منزعجا متسائلا :
ـ ماذا بك يا ضيف ، لماذا تصرخ هكذا ؟
رفع ضيف رأسه وهو يلهث ، يا إلهي كم كان كابوسا مزعجا لا أصدق أنني لا أزال على قيد الحياة .
ـ لا بد أنك حلمت حلما مخيفا ، لا عليك الخوف يصور لك أشياء غير موجودة ، لقد أحضرت لك بعض الطعام والشراب ، أتريد شيئا آخر قبل أن أنصرف وسأعود إليك بعد حين .
ـ أريد بعض الصحف وعلبة سجائر إن أمكن .
حالا سأحضر لك ما تريد .
ـ شكرا لك يا سيد لقد أنقذتني بحضورك ، لا تغفل عني فأنت الوحيد الذي يعرف مكاني ، ولولا الصداقة وصلة القرابة التي تجمع بيننا ما جئت إليك ، وسوف أكافئك على إخلاصك لي وحمايتي .
ـ لا تخف يا ضيف فأنت في أمان ، ولن يصل إليك أحد .
ـ هل من أخبار جديدة ؟ وهل أخبرت أهلي بوجودي حتى يطمئنون عليّ ؟
ـ لا جديد ، الشرطة لا تهدأ في البحث عنك وعن رجالك ، وأخبار الحادثة تملأ الصحف ، أما أهلك فسوف أخبرهم فيما بعد حتى لا يتسرب الخبر ويكتشف مكانك .

ـ وهل سأبقى هنا طويلا ؟ كاد صبري ينفد بل نفد بالفعل .
ـ لا لا بعض عملائك يمهدون لتهريبك للخارج ، فهم خبراء بهذه الأمور فلا تقلق .
ـ لقد قمت بتحويل أموالي خارج البلاد واتفقت مع أحد العملاء أن أعطيه شطرها عندما يتم مهمته ، وأصل إلى حيث أريد ، على أن يكون اتصاله بي من خلالك أنت ، وسوف يقوم أحد المسئولين الكباربتسهيل مهمته ، حتى لا يكتشف تورطه معنا ، حرصا على موقعه الوظيفي .
ـ شطر مالك يا ضيف دفعة واحدة ؟ أليس هذا المال هو الذي فعلت من أجله ما فعلت ، وأصبحت بسببه مطاردا مطلوبا للعقاب ؟ كيف تفرط فيه بهذه السهولة ؟ !!
ـ وما فائدة المال إذا وقعت في يد الشرطة وحل بي العقاب ؟ ثم أن هذا العميل لن يرضى بأقل من ذلك ، فهو يعرف حاجتي الشديدة إليه ، ولذا يستغل الظروف وينتهز الفرصة .
ـ هذا العميل وذاك المسئول وأمثالهما سوف يكتشف أمرهم بعد حين ويحاسبون جميعا ، ولا بد للحقيقة أن تظهر يوما ما .
ـ معك حق ، لقد عرفت ذلك مؤخرا للأسف .
خرج سيد وأغلق الباب وراءه ، وبقى ضيف مطرقا يفكر في مصيره وفي ما تخبئه له الأيام .
أيام قليلة مرت كأنها الدهر ، وذات صباح خرجت الصحف وعلى صفحاتها عناوين بالبنط الكبير تعلن عن هروب ضيف هنداوي مهرب الآثار الكبير خارج البلاد ، بعد تهريبه الأموال الطائلة والآثار النادرة ، ولا يزال رجاله بعيدون عن أيدي العدالة يمارسون إجرامهم في النهب والسلب ، ولا يزال البحث عنهم جاريا .

نبذة عن المجموعة القصصية
ـ وعاد الحب ـ للمؤلفة / نوال مهني
(كتبت هذه النبذة على الغلاف الخلفي للكتاب)

.....

وعاد الحب ـ مجموعة منوعة من القصص القصيرة ، تعالج قضايا المجتمع المختلفة ،
تستبطن الكاتبة أبطال و شخوص قصصها ، وتدفعهم للبوح بمشاعرهم ، والكشف عن معاناتهم ومشكلاتهم ، وهي محاولة للبحث عن حلول لتلك القضايا الشائكة التي تهدد كيان المجتمع وتفسد حياة الأفراد .
مثل العنوسة ، والطلاق ، والبطالة ، والوحدة ، والجشع ـ والاعتقاد في الخرافات .
كتبت المجموعة بأسلوب سلس جذاب يجمع بين الأصالة والعذوبة ويجعل القراءة متعة حقيقية .

****

الفهرس

مسلسل	القصيدة	الصفحة
١ ـ	الإهداء	
٢ـ	وعاد الحب	
٣ـ	قارون الجديد	
٤ـ	وضاعت الأحلام	
٥ـ	الشهيد الحي	
٦ـ	بائع الصحف الصغير	
٧ـ	بنت أكابر	
٨ـ	المؤذن	
٩ـ	عمرو ومنى	
١٠ـ	الرحلة رقم عشرة	
١١ـ	العودة إلى القبر	
١٢ـ	ضاربة الودع	
١٣ـ	الطاغية المتسول	
١٤ـ	بائع البطاطا	
١٥ـ	توت وتمساح النيل	
١٦ـ	الوارث	
١٧ ـ	بشارة خير	
١٨ ـ	عناد وكبرياء	
١٩ـ	البحث لا يزال جاريا	
٢٠ ـ	هذه نعجتي	
٢١ ـ	سيرة ذاتية	
٢٢ـ	الفهرس	

‘‘‘